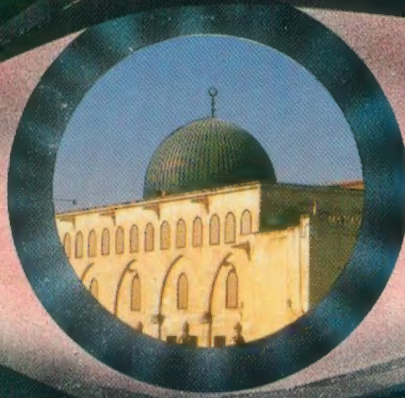


ثَوْرُ عِدْنَانَ عَلَيَّ رَضِيَ الْخَوِيُّ

ديوان

الأرض المباركة



دار النحوي
للنشر والتوزيع

الطبعة السادسة
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

ديوان الشيخ المصطفى

شعر
الشيخ محمد بن علي رضا النخوي

دار النخوي
للنشر والتوزيع

الطبعة السادسة
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

الطبعة الأولى
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

الطبعة الرابعة
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

الطبعة الثالثة
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

الطبعة السادسة
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

الطبعة الخامسة
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م



دار النحوي للنشر والتوزيع

ص. ب. ١٨٩١ - الرياض ١١٤٤١

الهاتف والفاكس : ٤٠١٠٢٥٧

المملكة العربية السعودية

ديوان
الشيخ المشايخ

النحوي، عدنان علي

ديوان الأرض المباركة، شعر. - ط ٦ .

٢٧٢ ص؛ ١٧ سم X ٢٤ سم

ردمك: ٦ - ٢٣ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠

- السعودية - الشعر العربي - دواوين وقصائد

أ- العنوان

١٤/٢٠١٧

ديوي ٨١١.٩٥٣١

رقم الإيداع: ١٤/٢٠١٧

ردمك: ٦ - ٢٣ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠



سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُم مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

سُورَةُ الْأَنْشَاءِ

للهِ دَاءٌ

إِلَى وَالِدَيَّ الَّذَيْنِ عَلَّمَانِي مَحَبَّةَ دِينِي وَأُمِّي
أَعْطِيَا... فَعَلَّمَانِي الْعَطَاءَ
وَأَوْفِيَا... فَعَلَّمَانِي الْوَفَاءَ
وَصَبِّرَا... فَعَلَّمَانِي الصَّبْرَ
وَمَنْ خَانَهُمَا تَعَلَّمْتُ الْخَانَ

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ رِضْوَانَ النُّجَافِيِّ



شكر وتقدير

أقدم شكري وتقديري الى الأخوة الأسانذة
رجال الأدب والفكر والصحافة الذين
نلطفوا بدراسة هذا الديوان فكتبوا أو تحدثوا
عنه في وسائل الإعلام المختلفة مما سجل بعضه
في الديوان . وأخص بالذكر الأخ الكريم
الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة
على كلمته الرقيقة وجهده الكريم ومبادرته
الطيبة .



مقدمة الناشر للطبعة الثانية المكتب الإسلامي

ما كنت أظن أن هذا اللون من الشعر ما زال له أهله ورجاله، يتذوقونه ويهتمون به. ما كنت أظن ذلك وقد راجت الدعاوات بتسميته بالشعر الرجعي، وكاد ينتشر ما يسمونه بالشعر الحر...! وضعفت اللغة العربية بين الناس وغابت في كثير من الأحيان قوة العبارة وجمال الأسلوب، وغابت بلاغة الشعراء الأقدمين ورواق البيان والتبيين.

وأقدمت على الطبعة الأولى وفي نفسي شيء من الوجل والخوف والاستحياء... حتى إذا ماتم طبعه ومضى توزيعه ورأيت الإقبال عليه، غيّرت رأبي وحمدت الله على أن أبقى في أمتنا الخير الكثير، والذوق الأصيل، والاهتمام الكريم للحفاظ على لغة القرآن، ومعاني الإيمان، وصور الواقع من خلال عقيدة ويقين. هذه الصور والمعاني التي يعرضها شاعرنا عدنان النحوي.

وها نحن الآن نقدم على الطبعة الثانية متخطين طبع العدد المنظور في الدواوين لنسد الحاجة التي لمسناها بعد الطبعة الأولى.

وقد تناول الديوان في طبعته الأولى عدد من الصحف ورجال الأدب والفكر نورد مقتطفات مما كتبوا :

ففي مجلة الجديد العدد ٥٠٧ تاريخ ٨ - ١٤/١/١٩٧٨ م. كتب الأستاذ زهير المارديني كلمة طويلة تحت عنوان: شاعر لا يأكل من صحن القضية جاء فيها :

«... ولكن بعد أن صليت العشاء وأمسكت بالديوان نسيت الشعر والشعراء ولم أفارقه إلا على مؤذن الفجر وهو يتلو بصوت شجي ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ عندها فقط عرفت من خلال قصائد النحوي أنه من هناك من البلد الذي يبكي عقوق الأهل قبل عقوق الأصدقاء وجحود الأقارب قبل جحود الأعداء... لقد أدركت من خلال ما قرأت من شعر أن الشاعر لم يأكل من صحن القضية...».

كما كتبت مجلة اللواء الأردنية في عددها الصادر في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٧٨م كلمة طويلة أيضاً حول الديوان: بقلم الأستاذ حلمي الأسمر تحت عنوان جولة في أعماق الأرض المباركة جاء فيها:

ولعل أروع ما في الديوان قصيدته المطوّلة «لم يبق في عرفات إلا دمة»... وتحدث عن عرفات بكلام يسيل رقة وحناناً ولا يملك من يتأمله إلا أن يبكي فيقول:

عرفات ساحات يموت بها الصدى	وتغيب	خلف	بطاحه	الألوان
لم يبق في عرفات إلا دمة	سقطت	فبكت	حولها	الوديان
هي دمة الإسلام يلمع حولها	أمل	وتهرق	بينها	الأحزان

ثم عرضت هذه الكلمة مزايا الديوان الأدبية من حيث الأسلوب والنفس الطويل ووحدّة القصيدة وموسيقاها...

وتحدث الأستاذ محمد الصباغ من إذاعة المملكة العربية السعودية عن الديوان بكلمة عنوانها: «الملاح الإسلامية في ديوان الأرض المباركة» جاء فيها:

«يقرر عدنان النحوي فيما يقرر أن النكبة التي نزلت بفلسطين وأهلها هي نجاح

الكفار - وا أسفاه - في زلزلة العقيدة عند كثير من المسلمين. وأن هذا هو الذي انتهى إلى ضياع البلاد والناس. لقد أعد الكفار الخطط المحكمة لإفساد عقائد أبناء المسلمين على مراحل وفق خطة يملئها المكر الأسود والحقد الدفين. وعندما نجحوا في تخريبهم الفكري استطاعوا بسهولة متناهية أن يطردونا من ديارنا وأن يفرقونا في هذه الدنيا تحت كل نجم ويجعلونا فقراء غرباء. فيقول :

لست أبكي تراها ومروجاً نضبت أو حجارة صماء
إنما أندب العقيدة تلوي في نفوس تعمسة والإباء
ما هجرنا ديارنا غير أنا قد هجرنا العقيدة السمحاء
لفظتنا الديار إذ ذاك لفظا وأحالت كرامنا غُرباء

ويذكر الشاعر أن السبب الأصيل لواقعنا المؤلم هو إعراضنا عن الله وأعمالنا المجانبة لشرعه وحياتنا المنحرفة عن الإسلام بكل منطلقاتها. ولذلك فقد أصابنا الذل الدليل وأصبحنا نعيش على فتات موائد الأعداء نطلب منهم حقوقنا ونفرح ونتيه للحقير من العطايا نناها منهم. يقول :

عجباً! كيف قُطعت أمة العرب وكانت عقيدة وإخاء
عجباً! كيف زُلزلت أسس الدار وهبت رياحها هوجاء
أفلتت حبلها المتين وأرخت من عُراها وبذلت أهواء
وتدنّت لتعرق العظم من كفٍ غريبٍ يلقي به إلقاء
ومضت تطلب الحياة بجيفات وتتن ذليلةً بلهاء
ذلّ من يطلب الحياة من الخصم ويرضى من كفه إعطاء

وتمضي كلمة الأستاذ الصباغ تعرض كيف يصور شاعرنا الواقع المؤلم وطريق الخلاص.....!

ومن إذاعة المملكة العربية السعودية تحدّث أيضاً الدكتور أحمد كمال زكي فكان من جملة ما قال :

«ويدي ديوان عنوانه «الأرض المباركة» وصاحبه الشاعر الصفدي عدنان النحوي. وقيمة هذا الديوان في نظري أنه يصور رحلة شاعر مع الزمن وداخل دائرة واحدة هي الوطنية التي تتطور إلى الإنسانية عابرة بالقومية. وبعبارة أخرى انطلق عدنان من منطلق فلسطيني ليعانق الإسلام قوميته وإنسانيته. وكانت البداية ملحمة... ففي أوائل الأربعينيات نسف الإنجليز داره وفي أواخرها نسف الصهاينة وطنه، وفي الستينات تكون النهاية المأسوية بضياح الضفة الغربية والجولان وسيناء... وبقدرة الشاعر المتمكن يستقطب عدنان مشاعر أمته للعمل من أجل خلاص الأرض المباركة. وكان قد نبهها قبل عندما رآها تتفرق أيدي سباً. نبه عدنان أمته هذا التنبيه، ولكن الفرقة ظلت فكانت كارثة عام سبع وستين وتسمئة وألف... ويبدو أن الشاعر... قد وجد الحل في العقيدة نفسها ورأى الإسلام بقواعده هو الدواء لتلك الأمة التي طعنت في عزتها فهوت تتلمس في الثرى سنداً. ثم انطلق يقول :

لا يستعيد حمى الأوطان غير هدى من الكتاب وعباد له دانوا
تشوقت لحنان الخلد أنفسهم فأرعدت في البطاح الحمر فرسان

وفي كلمة الأستاذ الشاعر عبد العليم القباني وهو يستعرض هذا الديوان ويستعرض معه مقدمة الأستاذ الدكتور هدارة :

«وتحسُّ فيها بالنغمة الصاخبة الهاتفة التي تتفق في هتافها مع الغرض السياسي المنظومة من أجله :

أنتم تتوحون والأعداء قد بلغت منكم وجاست خلال الملك تطوينا
شدوا العزيمة، شقوا الدرب واخترقوا صفَّ العدى عصبة لا تظهروا لنا

ويظل الشاعر ييث الشجون ويثير العواطف، وكلما مرَّ عيد من الأعياد أضاف جرحاً جديداً إلى جراحه فهو يصرخ في وجه العيد:

أيها العيد أين منك الوعودُ طال فيك الرجاء والترديد
أن نرى من شبابنا كل حرٍّ صاعداً للردى فذلك عيد

أو تلسعه دالية المتنبي فيقول :

ما العيد إلا لِحْرٍ لم يَهْنُ أبداً ولا بدا وهو في الأغلال مصفود

على أنه وهو يفعل بالأحداث الدامية التي تجري على الأرض المباركة فلسطين لا تبتعد أحاسيسه في الوقت نفسه عن الذي يدور في بعض البلاد العربية من كبت وإرهاق وعنت وأحداث لها في النفس مضاضة ظلم ذوي القربى كما يقول الشاعر القديم فلقد طغت مراكز القوى في بعض هذه البلاد وسأقت إلّا، السجون والمعتقلات آلافاً من الشباب :

لم تجاوز عزة النفس بهم لفظة ماتت على ثغرهم

ويتابع الأستاذ عبد العليم كلمته :

وتنطلق لواعج عدنان من عقاها وتنقل بحيث تشمل بلاد المسلمين جميعاً وقد راعه أن :

أحنت مائرها الهضاب تفجعاً وبكى على فرسانه الميدان
وتشعبت دون الظلام مسالك شتى وكان سبيلنا القرآن

تلك هي ثورة عدنان كما قرأناها في قصائده، أما حين يهدأ وقليل ما يكون، فهو وصاف يتأنق في وصفه فيجيد. وإنك لتجد مثلاً لذلك في هذا المنظر الطبيعي الذي نختاره من قصيدته صفد بلده الحبيب والتي يناجي فيها بعض تفاصيل هذه الصورة الجميلة بقوله :

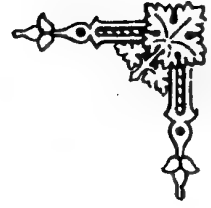
يازهرة اللوز الشهيّ وطلعة النـ
يا غرسة العناب مدّت كفها
كالغادة الحسناء خلف خيائها
نور البهيّ وغرسة الأجداد
المخضوب من فرع لها مباد
دفعت بناتاً للمحب الصادي

يا أمسيات في	الرجوم كأنها	عطر	الشباب	وبهجة	الأعياد
والبحرة الزرقاء	دون شعابه	نزلت	فأنزلها	سواد	فؤاد
نهذت بجنيها	الربى وتوثبت	نهدين	مضطربين	فوق	مهاد
أهدى لها الليل	الشجي غلالة	سمراء	تحقق في	ظلال	سواد
وشت حواشيها	النجوم لآلئاً	تطوي	وتنشرمن	بريق	هادي
والبدر بين	الناهدين	كماسة	موصولة	في	جيدها
					بقلاذ

وصياغة عدنان عربيّة أصيلة...» وهكذا تمضي كلمة الأستاذ عبد العليم القباني في عرض مواضيع الديوان وأفكاره ولغته وأسلوبه.

ويسرني أن أقدم هذا الديوان في طبعته الثانية آملاً أن يحقق بذلك دفعة للأدب المؤمن في ثوبه الأصيل وصياغته العربية الصادقة

المكتب الإسلامي



مقدمة الطبعة الثانية للمؤلف

مع الطبعة الثانية لديوان الأرض المباركة، تظل مقدمة الطبعة الأولى تعطي ملامح الأحداث التي خرجت معها هذه الأبيات...! خرجت في أكثر من مكان... وفي رحلة واحدة يرسم القدر دروبها وخطاها. وظلت الأحداث خلال هذه الرحلة تنتقل من مفاجئات إلى مفاجئات، ومن ظلمة إلى ظلمة، ومن محنة إلى محنة...

وأحداث أمتنا لا يكفيها الشعر ولا النثر. إنها أحداث جسام تحتاج إلى كل أنواع الأسلحة والعتاد، وكل أنواع القوى وأساليب الجهاد. والكلمة قوة من هذه القوى وسلاح من هذه الأسلحة... سلاح لا بُدَّ أن يكون له دوره في كل معركة وفي كل ميدان. وفي الأمة القوية تكون الكلمة قوية...، قوية بمنطلقها، وأثرها، ومداه.

ولكن الكلمة قد ضعفت في أمتنا اليوم. ضعفت شكلاً ومضموناً، وضعفت أثراً ومدى. ضعفت الكلمة كما ضعفت الأمة وكما ضَعُفَتْ سائر أسلحتها. ولكنها جولة من جولات أمة الإسلام بين ماضٍ بعيد ومستقبل قريب. إنها جولة من الجولات ومرحلة من المراحل في تاريخ عظيم ممتد في الحياة حتى قيام الساعة. فهذا هو تاريخ المؤمنين وهذا هو مداه...!

ضَعُفَتْ الكلمة حين ضعفت اللغة كذلك. فكم من شبابنا اليوم يحملون أعلى الشهادات العلمية لا يكادون يحسنون لغتهم كما يحسنون اللغات الأجنبية. ضعفت

لديهم لغتهم وهان عليهم تاريخهم وهم يصيحون بشعارات العروبة، وإن شئت الإسلام. حتى كأن العمل لم يعد أكثر من شعار يُرفع.

ضعفت الكلمة في أمتنا اليوم حين استسلمت على خدر الشعارات إلى طبول الغزاة ودفوف المستعمرين وأبواق المرائين. فدلف الموت يغتال يميناً وشمالاً ومن كل ناحية تاريخاً وأججاً، ولغة وعتاداً، ويمزق ويسحق، ويخلف وراءه جثثاً وجيفاً...!

إنها غفوة من الغفوات في تاريخ أمتنا. لا بد من صحوة بعدها إن شاء الله، ولا بد من وثبة مظفّرة في ميادين الحق والجهاد، لتشهد أمتنا جولات النصر والغلبة، عابدة لله خاضعة له، حتى تكون كلمة الله هي العليا...!

وهذا هو وعد الله لعباده المؤمنين إذا صدّقوا ما عاهدوا الله عليه، إذا أسلموا وآمنوا، إذا اجتبتوا وأنابوا، إذا تدبروا منهاج الله وعملوا به، إذا نهضوا إلى دعوة الحق نهضة صدق ووفاء.

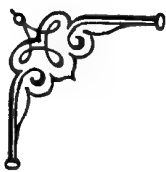
وعندئذ يكون عمل هؤلاء المؤمنين قوة وسلاحاً. عندئذ تصبح الكلمة قوة... أسرع من نضج النبل...، وتصبح العبادة قوة أمضى من النصل الباتر. عندئذ تصبح الروحة والغدوة، والقيام والقعود، والراحة والنشاط، والعمل كله... يصبح عندئذ قوة عظيمة مباركة، وسلاحاً مظفّراً ميموناً. ويصبح العمل كله ذكراً لله في كل ساحة وميدان...!

فعل درب الإيمان، يمضي المؤمنون مع سلاحهم وعتادهم صابرين محتسبين حتى يلقوا الجنة أو النصر، يعضون في طريقهم الطويل ومعهم كل سلاح وكل عتاد، معهم كلمة الحق...!

واختم كلمتي هذه. بتقديم الشكر والتقدير إلى الإخوة الأساتذة محمد بن لطفي الصباغ على كلمته الكريمة التي ألقاها من الإذاعة السعودية والدكتور أحمد كمال زكي والأستاذ الشاعر عبد العليم القباني وسائر الأساتذة الذين تفضلوا فكتبوا كلماتهم حول هذا الديوان.

الرياض ١٣٩٩/٤/٢٥ هـ
١٩٧٩/٣/٢٣ م

محمّد علي رضا النوري



مقدمة الطبعة الأولى

من عبق هذه الأرض المباركة ومن أنفاسها الذكية، من مرابعها الطيبة ومن صفحات جهادها الكريم، خرجت هذه الأبيات من الشعر.

أرض مباركة، لم تكن بركتها في حجارة أو طين، في نبات أو طير، في مروج أو زهور، وإن كانت هذه كلها طيبة، ولكنها بركة عقيدة وجهاد، بركة رسالة ربانية ونبوة، بركة تاريخ طويل يرسمه وحي السماء، لتمضي معه جنود الحق في صراع طويل مع الباطل...

ونمت بركة هذه الأرض حين أسرى الله سبحانه وتعالى بعبده محمد ابن عبد الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ليؤم الأنبياء ويمضي به البراق... إلى السموات. فترتبط بذلك الديار وتتصل القلوب، وتجتمع الأمة على مرابع الخير، وفي طريق النور.

ومع الطفولة المفتحة وعلى مدارج الصبا لاقتنا الأحداث ثورات دامية وشهداء أبراراً في معارك متلاحقة ضد الاستعمار والصهيونية والمؤامرات الدولية. ولم تكن تهدأ ثورة حتى تنتفض أخرى أشد وأعتى، وكان بينها مدة راحة واسترخاء يفرضها الوضع الدولي كالحرب العالمية الثانية، تغلب فيها الشكوى والتغني بالامجاد...

وكانت فاجعة النزوح بكل مآسيها ودموعها ودمائها، ودفعتنا هذه الفاجعة لنلتقي

من جديد، وتلتقي الأمة كلها مع أحداث جسام، وصراع مرير باق مابقيت الحياة حتى تقع جولة الحق، ويتنصر فيها الإيمان وتعلو كلمة الله.

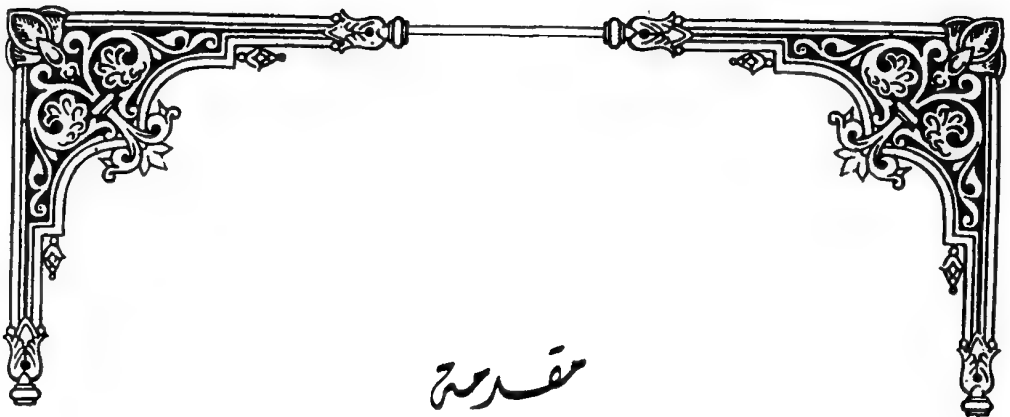
لذلك كان الشعر بالنسبة لي خلجات تضطرب مع الأحداث وأحاسيس تنطلق على غير ميعاد على هذا النحو من التعبير.

واطلع أخي الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة على هذا الديوان. فلم يكتف بقراءته أو إبداء ملاحظاته الكريمة، ولكنه تفضل مشكورا بوضع مقدمة هذا الديوان، وكأنه استشف من بين هذه الأبيات ملامح حياة واضطراب خلجات. فعاش وكأنها خلجاته وأحاسيسه وسجلها في مقدمته.

فإلى أخي الأستاذ الدكتور هدارة أقدم شكري على هديته الحلوة الكريمة.

الرياض. ١٣٩٦/٧/٢ هـ
١٩٧٦/٧/٥ م

محمد بن علي رضا النوي



مقدمة

بقلم الاستاذ الكبير الدكتور محمد مصطفى هدارة
استاذ الأدب العربي في جامعة الاسكندرية والرياض

صافحت عينا شاعرنا نور الوجود في بيت علم تنمى أرومته إلى عالم كانت
تضاف إليه صفة علمه لرسوخه فيه حتى صارت تلك الصفة (النحوي) علماً له
ولأسرته من بعده.

وقد نشأ عدنان النحوي في صدد بأرض فلسطين في أواخر العشرينات وأخذت
أكمام صباه تفتتح في الثلاثينات، وهي فترة كانت تضطرم فيها أحشاء تلك الأرض
الطاهرة بالثورة ضد الاستعمار الانجليزي المتحالف مع الصهيونية العالمية، وكانت
تقدم عاماً بعد عام فلذات أكبادها شهداء حريتها وعروبته وإسلامها، فارتبط
عدنان - منذ صباه الباكر - ببلدته ووطنه وأمه ودينه، ولا انفصام في الحقيقة
بين هذه الجزئيات التي تؤلف دائرة واحدة تبدأ من المركز - وهو مسقط رأس الشاعر
صدد - ثم تنداح لتتسع شيئاً فشيئاً لتضم في حناياها فلسطين كلها، ثم العالم
العربي بأسره، ثم العالم الإسلامي الرحيب بأمره وحاضره وغده.

وما من شك في أن عدنان نشأ مفطوراً على الشعر، ولم يبعد عنه لحظة واحدة
في كل أدوار حياته، حتى عندما اتجه إلى دراسة الهندسة، فالشعر عنده ليس معاناة
احتراف، ولا محاولة لإثبات وجود في كل مناسبة تسنح، وليس مطية ذلولاً يتسلى

بركوبها في رحلة الحياة، وإنها هو نبض وجدانه، ومعاناة عاطفته، وفيض مشاعره، وذوب فكره. إنه يسري في جسده مسرى نفسه، فليس عنه غناء، وليس منه بد.

وبدأ شعر عدنان من مركز الدائرة الفلسطينية العربية الإسلامية التي تتداخل خطوطها في نفسه، فنراه يتغنى ببلدته صفد في كثير من قصائده، فهو يعيش في ذكرياتها الحلوة النابضة بالحياة في قصيدته (لوحة من صفد). فيرسم لنا تلالها ووهادها، وأشجارها وأزهارها، وأعشابها وأنهارها، وثمارها وأطيافها، إنه يتمثلها جنة مورقة ويسمياها (عروس الدهر)، ونحس في كل بيت من قصيدته خفقة قلبه بجبها، ونبض وجدانه في استرجاع مشاهدنا ومجاليها وأسماها.

وحين يسمع عدنان أن شاعراً قد هجا صفدا بحكم التعصب الإقليمي الضيق، لا يسهه إلا هجاؤه ورد عاديته عن بلدته الحبيبة. ثم تجدد للشاعر بعد ذلك قصيدتين ترويان أحداثاً أليمة وقعت في صفد: الأولى تتحدث عن دار كانت لأسرة الشاعر في بلدتهم فنسفها الانجليز في خلال أعوام الثورة، وعندما عادت إليها الأسرة بعد سنوات (في عام ١٩٤٣) وجدت أطلالاً لم يبق منها غير جدار واحد، ظل شامخاً لم يتهدم، وكأنه رمز للإباء وعدم الخنوع والسقوط. وأما المناسبة الأليمة الثانية فكانت سقوط صفد في أيدي اليهود عام ١٩٤٨، وفي هذه القصيدة تتجمع أحزان الشاعر النازفة بالدم في ثورة على ما آل إليه حال العرب والمسلمين من تمزق وضياح.

وينتقل الشاعر في أرجاء بلاده فهو يكتب شعره في عكا تارة وفي القدس أخرى، ويتغنى بحيفا وينظر إلى بحيرة طبرية، فتخلب لبه وتستثير شاعريته، فيصفها كما وصفها المتنبي من قبل مفتوناً بجماها، ولكن وصف الطبيعة عند عدنان النحوي وسيلة دائماً وليس غاية في ذاته، فهو يستنشق عير أرض بلاده، ويستجلي مفاتها، تأكيداً لدينه في مواجهة المد الاستعماري والتحدي الصهيوني. ولن يغيب عنك قط وأنت تعيش في صحبة ديوانه أنك أمام شاعر صاحب رسالة لا يتخل عنها قط في أي موقف، ولا في أي طور من أطوار حياته، وهو في سبيل هذه الرسالة يضحى بمشاعره الذاتية ويكتم عواطفه الشخصية في التزام نادر يعبر عن مدى إيمانه برسالاته وهي مناصرة قضايا الأمة والإسلام، يقول لصديق له :

شكوت لي غير أني لم أجد أحدا أشكو إليه وفي جنبي نيران
هواك غيد وتشكو من لوحظها لكن هوى أضلعي دين وأوطان

بل إنه يرى أن الهوى هو آسر الجهلاء ويصرح بانصرافه عنه إلى طلب الرفعة
والمجد يقول:

كاتم فؤادك عن هوى لظباء وانشد مطالع رفعة وعلاء

ومن أجل ذلك لن تجد شعر غزل في ديوان عدنان النحوي إلا في مقطوعتين
تعبران عن شوق وحنين في فترة الصبا الباكر، وكأني به لم يسعد بحبه اليتيم إذ
سعت أحداث بلاده في تفرق الأحباب وانشعاب القلوب. ولن تجد حادثة أصابت
فلسطين أو منعطفاً يرتبط بمصيرها إلا وقد عاش في وجدان الشاعر وامتزج بدماؤه
وأنفاسه وخفقاته وفكره منذ بداية الأربعينات حتى اليوم. فتراه في عامي ١٩٤٣،
١٩٤٤ يحس تمزق أبناء وطنه ويسمع أنين شكواهم دون أن يرى جدا في الكفاح
وضم الصفوف والقلوب، ولهذا يناشد بني وطنه الكف عن الدموع والسعي إلى
النضال مستثيراً همّهم بأجداد ماضيهم. [أنظر قصيدتيه (النذير) و (يا قومي)].
بل نراه حين يقبل العيد ينفذ ببصيرته في سجوف الزمن فيرى أن نتيجة التخاذل
والتمزق ستنتهي بفلسطين إلى ما انتهت إليه دولة الإسلام في الأندلس.

ثم يحل عام النكبة سنة ١٩٤٨ ويصح ماتوقعه الشاعر - وقد ضاع صرخات
تحذيره قبل ذلك بسنوات في خضم الخلاف والتناؤد - وهنا ترسم الكارثة بكل
عنفوانها في وجدانه وفكره فيبكي سقوط صفد ويبكي ضياع فلسطين كلها، ويبكي
شهداء الكفاح الذين سقطوا في أرض المعركة كالشهيد عبد القادر الحسيني بطل
القسطل، ولا ترقأ دمعته، ولا تكف جراحه الفاعرة عن الترف بعد تاريخ النكبة
حتى اليوم. كما يتمثل لك في قصيدته (جرحان) التي كتب بعضها في عام ١٩٤٩
وبعضها الآخر في عام ١٩٦٤ والجراح هي الجراح، واللوعة لا تزال مشبوبة الأوار.
بل نجده في عام ١٩٧٤ يكتب (عودة لاجيء) بقلم يتنزى ألماً ووجدان يقطر دما :

أنا يا أخت ضائع لست أدري أين قومي وأي أرض أجوب

في ضلوعي أسى وفي العين دمع يتنزي وفي الفؤاد ندوب
وعلى الوجه بسمه ظللتها غيرة الموت واعتراها شحوب
وديب الأيام ينزع مني نفساً خافقاً وروحاً يغيب

ولا يعيش عدنان النحوي في قلب المأساة الفلسطينية وحدها، بل يعيش أيضاً في حنايا عالمه العربي، كما يعيش العالم العربي في حناياه ووجدانه ويتعاطف إحساسه لدينه في قصيدتين جعل لهما عنواناً واحداً هو (أخي)^(١) كتب الأولى في عام ١٩٥٧ وكتب الثانية في عام ١٩٦٦ مما يدل على ثبات إحساسه بالأخوة الإسلامية مهما تطاولت السنون، وهو يجول بمشاعره في قصيدته الأولى في أنحاء من العالم العربي يتابع قضاياه في الحرية ويشد من أزر مناضليه بروح المجاهد المتفائل المؤمن برسالته، يقول :

أخي لا تبال فهذي القلوب وهذي السواعد ثارت معك
فلا ظلمة السجن تخشى ولا جنون السياط برى أضلمك
ولا القيد، حطمه كبرياؤك قطعته دون أن يقطعك
وجلادك الوحش أذلته وقد كان يبغي هنا مصرعك

وهو ينزف ألماً في أحداث مؤسفة عرضت في عام ١٩٥٥ في بلد عربي. وعبر عنها في قصيدتيه (دماء بريئة) و (شفق الفجر) يقول في دماء بريئة :

أدم يُراق وفية يتساقطو ن وعصبة الطاغوت فيهم تحكم
والشعب مسكين يجرد فوقه سيف تشل به البدان ويلجم
وترد أبواب السجون وخلفها جسد يغيب وهمة تتقدم
ويشرد الأحرار في أفواههم صوت الجهاد قصائد وترنم
وتباح أسواق البلاد لغاصب يوم الجلاء وقبل ذلك مغنم

ولكن عدنان النحوي برغم كل مآسي وطنه الصغير فلسطين ووطنه العربي الكبير وعالمه الإسلامي لا يهتز إيمانه ولا يتخاذل تفاؤله بقدم يوم النصر، وشعاره في ذلك قوله :

(١) في هذه الطبعة تغير عنوان إحداها إلى «سواعد وقلوب».

لا تيأسي يا نفس إن عبس الزّما ن فما القنوط بمذهب البأساء

ومن المؤكد أن أهم ما يذكى في قلبه روح التفاؤل إيمانه القوي بدينه وشعوره القوي الجارف بعظمة الإسلام، حين تعتصم به النفوس المؤمنة فتجد فيه القوة بعد الضعف، والثبات بعد التخاذل، والاتحاد بعد التفكك، والنصر بعد الهزيمة. وهذا الشعور الديني الذي يغذو روح عدنان النحوي وفكره قديم صحب نشأته الأولى منذ كتب قصيدته (عزة الإيمان) في عام ١٩٤٤ وأخذ يتوهج في نفسه كلما تأمل حال العرب والمسلمين في كل مكان، فكتب قصيدته (فلسطين في ظلال القرآن) وكتب مطولته الرائعة (لم يبق في عرفات إلا دمعة)، وكتب بهذه الروح الدينية المتوهجة قصيدته (دعاء) ورناء للشهيد سيد قطب.

تلك هي الموضوعات الرئيسية في شعر عدنان النحوي، إلى جانب شعره الذاتي الذي يعبر فيه أجمل تعبير وأدق عن نفسه بحيث لا تغيب عنك سمة من سماته الخلقية أو الفكرية. وهي تبين بجلاء أنه شاعر ملتزم صاحب رسالة لا يتخلل عنها في أي دور من أدوار حياته الشعرية التي تمتد في هذه المجموعة ثلاثاً وثلاثين سنة. وصغر حجم هذا الديوان مع المقارنة بطول المدى الشعري يوضح أحد أمرين:

الأول : أن الشاعر لم يضم فيه كل ما قاله من شعر، ومن ذلك عندي وجود مقطوعات صغيرة في مناسبات مختلفة مما نطلق عليه اسم (الاخوانيات) حرص الشاعر على إثباتها.

والثاني: أن الشاعر مقل بطبعه لا يكتب إلا حين تكتمل تجربته الشعرية وينضج انفعاله بها، وهذا هو الأرجح عندي، ولهذا نجد له في عام ١٩٤٣ قصيدتين بينما نجد له في عام ١٩٤٤ عشر قصائد. وهذه الفترة المبكرة من حياته في الأربعينات كانت شديدة الخسوبة، وبعد نكبة عام ١٩٤٨ هدأت وقده الشعرية فلا تجد له شعراً في سنين كثيرة، أو تجد له في العام قصيدة أو قصيدتين على الأكثر.

وعلى الرغم من يقيني بأن الشاعر جمع في هذا الديوان كل نتاجه إلا أنني أستدرك قائلاً : إنه أسقط منه بالتأكيد محاولاته الأولى في أيام الصبا، لأننا نرى في بدايات شعره في عام ١٩٤٣ جزالة وقوة في معظمه مما يوحي باجتيازه مرحلة الغرمة.

لقد تحدثت حتى الآن عن مضمون شعر عدنان النحوي، وما من شك في أن عنصر الشكل قد تطور في شعره تطوراً واضحاً في خلال رحلته الشعرية الطويلة. فقد كان شعره في الأربعينات يحمل آثار التقليد والمحاكاة للشعراء الفحول، فتحس في قصيدته (عزة الإيمان) روح المتنبي تطل عليك بكل ما فيها من تشاؤم وسوء ظن بالناس، وبكل ما في أسلوبه من جزالة وقوة وميل إلى التصوير وجنوح إلى الحكمة، يقول عدنان :

أرى الليل غارت في السماء كواكبه	فغار	فؤادي	والهموم	نوابه
أنا ابن هموم الدهر حين تمخضت	مصائبه	عن	عسرة	ونوابه
تسربت جلباباً من الصبر ضافياً	وللصبر	جلباب	تطول	ذوائبه

إلى آخر القصيدة.....

وحين يكتب عن العيد في فلسطين تلح عليه إلحاحاً شديداً قصيدة المتنبي المشهورة:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

قال عدنان في قصيدته الأولى عن العيد :

أيها العيد اين منك الوعود طال فيك الرجاء والترديد

ولعلك تلاحظ أن تأثير المتنبي لم يظهر في أسلوبه ورنته التشاؤمية فحسب، بل ظهر في اصطناعه لقايفته أيضاً، أما القصيدة الثانية فقد وضع فيها تأثير المتنبي بصورة أقوى إذ حاكاه النحوي في الوزن والقافية والأسلوب، ومطلع قصيدته :

هل عدت بالأمل المحبوب يا عيد عود سعيد فهل في العود تجديد

وترى آثار شعراء آخرين تبدو في القصائد الأولى لعدنان النحوي، كأثر أبي فراس الحمداني الذي يتضح في قصيدة (شوق) وأثر أوس بن حجر الذي يبدو في قصيدة (حنين)، وأثر أحمد شوقي في قصيدة كتبها النحوي إلى صديق مطلعها:

من للفؤاد إذا رَحَلَتْ ومن يحن ومن يعينه

فهى محاكاة واضحة لقصيدة شوقي المشهورة (ياناعما رقدت جفونه) غير أن المحاكاة في هذه الفترة الباكرة من حياة الشاعر أمر طبيعي، وهي أثر من قراءاته في الشعر العربي قديمه وحديثه، وتكاد تكون محصورة في بعض طرق التعبير أو التصوير، ثم لا يلبث الشاعر أن تتجلى شخصيته في قصائده التي توهج بها وجدانه، فأخذت صورته تدق وتتجلى بتأثير الصدق العاطفي والمعاناة الشعورية، كما ارتفعت لغة شعره وموسيقاه إلى مرتبة سامية من الإحساس وقوة التعبير.

وبعد فهذه ليست دراسة لديوان عدنان النحوي، ولكنها مجرد انطباع سريع أثرت أن أسجله بعد أن قرأت هذا الديوان الذي حمله إلي مشكوراً صديق كريم، فعشت معه ساعات ثرة بالأحاسيس بكل ما يحمل في ثناياه من أمجاد ماضينا الزاهر، وهموم أمتنا الراهنة، والأمل الحلو في المستقبل بقوة الإيمان والصبر.

مَحَمَّدُ صَافِي هَذَانَا

الملاح الإسلامية في ديوان «الأرض المباركة»*

للدكتور محمد الصباغ

صدر في الأيام الأخيرة ديوان «الأرض المباركة» للشاعر عدنان النحوي، وقد غنّى صاحبه فيه أمانيه وآلامه، ومعظمها يدور حول فلسطين وقد برزت فيه الروح الإسلامية بروزاً واضحاً تلمسه من :

● صدوره في معالجة هذه القضية عن وجهة النظر الإسلامية، لأننا - مع الأسف - أصبحنا نرى في دنيانا وجهات نظر متعددة تناقش قضايانا المصرية، ومعظمها تتجاهل الإسلام أو تتجهم له.

● ومن عنوان الديوان الذي يشير إلى الآية الكريمة «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله». وتلمسه من افتتاحه بهذا الدعاء :

يارب! هذا دعائي، كيف أرفعه إليك، وهو على الآثام محمول؟
لولا التأمل في رحماك ما انفرجت نفس، ولا كان للملهوف تجميل

(*) كلمة أذيعت في برنامج أدبي من إذاعة المملكة العربية السعودية.

- وفي الديوان جوانب عدة تستحق الدراسة :

● منها الجانب الأسلوبى الذي يتصل بالصورة والموسيقى والتركيب.

● ومنها الجانب الاجتماعى الذي يتعلق بدلالة ما جاء في الديوان على العادات الاجتماعية والمآكل الخاصة.. وما إلى ذلك.

● ومنها الجانب التاريخى والسياسى الذي يبحث في الأحداث التاريخية، والمآسى المؤلة، وهذا الجانب الأخير عني به الأدباء والنقدة والمؤرخون، وأسموه: «رثاء المدن والممالك» ومن أشهر المرثي فيه رثاء ابن الرومي للبصرة، والرندي للأندلس. ولكنني لن أبحث في شيء من ذلك الليلة، وإنما أريد أن أتحدث عن الملامح الإسلامية في هذا الديوان.

- يقرر عدنان فيما يقرر أن النكبة الحقة التي نزلت بفلسطين وأهلها هي نجاح الكفار - وا أسفاه - في زلزلة العقيدة عند كثير من أهلها.

وأن هذا هو الذي انتهى إلى ضياع البلاد والناس. لقد أعد الكفار الخطط المحكمة لإفساد عقائد أبناء المسلمين على مراحل وفق خطة يملئها المكر الأسود والحقد الدفين، وعندما نجحوا في تخريبهم الفكرى استطاعوا بسهولة متناهية أن يطردونا من ديارنا، وأن يذلوا رجالنا، وأن يفرقونا في هذه الدنيا تحت كل نجم ويجعلونا فقراء غرباء، يقول :

لست أبكي	تراها	ومروجاً	نضبت،	أو	حجارة	صماء
إنما أئندب	العقيدة	تدوي	في نفوس	تعيسة	والإباء	
ما هجرنا	ديارنا،	غير أنا	قد هجرنا	العقيدة	السمحاء	
لفظتنا	الديار	إذ ذاك	لفظاً	وأحالت	كرامنا	غرباء

وهذا حق لا شك فيه، وقد قررته الآية الكريمة ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾. ويعترف به مفكرو الغرب وإن كان بعض الجهلة من أبنائنا يجادل فيه بلا حجة ولا برهان.

- ويذكر الشاعر أن السبب الأصيل لواقعنا المؤلم هو إعراضنا عن الله، وأعمالنا لمجافية لشرعه، وحياتنا المنحرفة بكل منطلقاتها عن الإسلام، ولذلك فقد أصابنا لذل الذليل، وأصبحنا نعيش على فتات موائد الأعداء، نطلب منهم حقوقنا، ونفرح ونتيه للحقير من العطايا نالها منهم. يقول:

عجبا! كيف قُطعت أمة العرب	وكانت	عقيدة	وإخاء
عجبا! كيف زلزلت أسس الدار	وهبت	رياحها	هوجاء
أفلتت جبلها المتين وأرخت	من	عراها	وبدلت أهواء
وتدنّت لتعرق العظم	من	كف غريب يلقي به إلقاء	
ومضت تطلب الحياة بجيفات	وتن	ذليلة	بلهاء
ذل من يطلب الحياة من الخصم	م	ويرضى من كفه إعطاء	

- ويصور عدنان الواقع المؤلم الذي كشرت فيه المصائب عن ناهيها، واستغاث الوطن المنكوب وألح في الاستغاثة، فإذا الذي استجاب لصرخاته قاس فاتك. ويلتفت الشاعر عن هذا الواقع المرير ليتساءل: أين حمية المسلم؟ أين كتائب الإيمان تترأض إلى القتال، والردى يترقب، ونداؤها الخلو الله أكبر؟ أين تلك الكتائب تغيث وطني المسلم وتأسو جراح أهله المكومين؟ أين الكتائب التي تحرص على الفوز بإحدى الحسينين؟ يقول:

وطني ذكرتك والمصائب كشرت	عن	ناها	واحرّ منها	المخلّب
فصرخت مكلوماً: أما من منجد	يخو	عليّ	ومسعفٍ لا	يرهبُ
وأناك ينقذ من رجوت حنانه	فإذا	به	قاسٍ عليك	مجرّبُ
أين الحمية إذ رآك ممزقاً	إرباً	وعرضك	مستباحٍ	يُثَلّبُ
أين الكتائب أقبلت ونداؤها	الله	أكبر!	والردى	يترقبُ
ومضوا لإحدى الحسينين يشدهم	شوقٌ	إلى	دار الخلود	ويجذبُ

- ويقرر عدنان النحوي طريق الخلاص في هذه الأزمة، فيبين أنه العودة إلى الله ليس غير، فهذه العودة تحيي النفوس الخاوية وترد إلى القلوب الطمأنينة وتقيم في الحياة الاستقامة، وتخلصها من دواعي القلق والاضطراب. وهذه العودة إلى الله

هي التي تدفع إلى الجهاد، وترجع الأمة إلى سدة القيادة وتعلي راية الحق، وتنتج للأمة أسباب المجد والعلاء. يقول :

أمتي	عودة	إلى	الله	تحمي	ميت	الأرض	والنفوس	الخواء
أمتي	عودة	ترد	إلى	النفس	ضياء	يعزق	الظلماء	
عودة	ترجع	الجهاد	وتعلي	راية	الحق	واليقين	علاء	

هذه أمثلة تنبئ عما يمتاز به هذا الديوان من الملامح الإسلامية، ولم يكن قصدي الاستقصاء.. وكما نتمنى أن تكثر مثل هذه الدواوين عن فلسطين، قلب أمتنا المكلم، وأمنيتها المهيضة. وللكلمة سلطان وأي سلطان.

ونختم هذه الكلمة بهذه الأبيات التي وجهها الشاعر لأمة الإسلام :

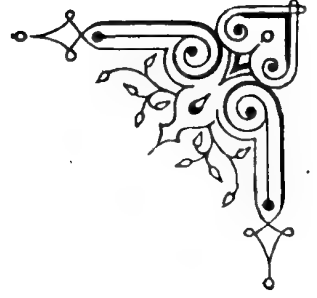
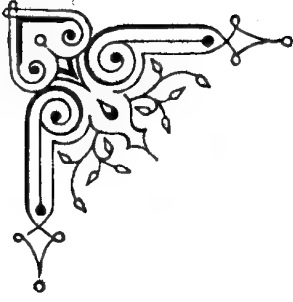
يا	أمة	الإسلام	قد	عظم	البلا	وارب	في	ساحاتك	الطغيان
أفلت	جبل	الله	وارنحت	العري	وجرت	على	ساحاتك	القطعان	
وهجرت	قرآنًا	وسنة	أحمد	يا	ويل	من	ينأى	به	الهجران

والسلام عليكم ورحمة الله.

محمد الصبّاغ

١٨ محرم سنة ١٣٩٨

٢٨ كانون أول سنة ١٩٧٧



كلمة

الدكتور أحمد كمال زكي

منذ قديم يعرف تاريخنا الشعري مُقَصَّد القصيد المتفرد بفن واحد.. فهو يقصر شعره إما على مديح آل النبي صلى الله عليه وسلم كما فعل الكميت في هاشمياته، وإما على الغزل العفيف كما فعل العباس بن الأحنف، وإما على الزهد كما فعل أبو العتاهية.. وكل واحد من هؤلاء ومن أشبههم لم يُقَصِّر قط، ولم يُعرف عنه إلا الإجادة، بل لقد خيف جانبهم بالرغم من أن تنوع الفنون عند الشاعر القديم كان قاعدة نقدية واردة في مجال الإجادة.. فقد قرر بشار بن برد أن من حسن طالعه أن شغل السيد الحميري نفسه بمدح آل البيت، وقرر أبو الفرج أن ابن الأحنف زاحم فحول عصره في مجلس الخليفة وأنه لما مات أمر هارون الرشيد ابنه المأمون فسار في جنازته.

وتطرد القاعدة - بلا استثناء تقريباً - في عصرنا هذا، فنجد من الشعراء من يتخصص في فن واحد لا يجاوزه، ونجد أيضاً أنه قد يجرز قَصَب السبق دون غيره، ودون أن يقع في مغبة التكرار، ثم يُصدر من الدواوين ما لا يمل منها القارئ على الإطلاق.

وبين يدي ديوان من هذه الدواوين عنوانه «الأرض المباركة» وصاحبه الشاعر الصَّفدي عَدْنان النُحوي وقيمة هذا الديوان - في نظري - أنه يصور رحلة شاعر

مع الزمن وداخل دائرة واحدة هي الوطنية التي تتطور إلى الإنسانية عابرة بالقومية .
وبعبارة أخرى انطلق عدنان من منطلق فلسطيني ليعانق الإسلام قوميته وإنسانيته،
وكانت البداية ملحمة . . ففي أوائل الأربعينات ينسف الإنجليز داره وفي أواخرها
ينسف الصهاينة وطنه وفي الستينات تكون النهاية المأسوية بضياح الضفة الغربية
والجولان وسيناء .

وبقدرة الشاعر المتمكن يستقطب عدنان مشاعر أمته للعمل من أجل خلاص
الأرض المباركة، وكان قد نبهها قبل عندما رآها تتفرق أيدي سبأ، وذلك في
قصيدته التي يقول فيها:

يا أخي هذه يدي وعهودي	جمعنا	عقيدة	ودروب
لا تذرني على الطريق وحيداً	فكلانا	إذا فعلت غريب	
قم لتبني أجداناً عزيمات	صادقات	وهمة لا تحيب	
يمسك العروة الوثيقة إيماناً	ن وحي من الجهاد نجيب		
حفظ الله أمة تتأخى	من بنينا سواعد وقلوب		

نبه عدنان أمته ذلك التنبيه، ولكن الفرقة ظلت، فكانت كارثة عام سبع وستين
وتسعمائة وألف . . ويبدو أن الشاعر وقد أعياه البحث طويلاً عن حل لتلك
المشكلة . . يبدو أنه وجدته في العقيدة نفسها، ورأى أن الإسلام بقواعده هو الدواء
لتلك الأمة التي طعنت في عزتها فهوت تتلمس في الثرى سنداً، ومن ثم انطلق
يقول :

لا يستعيد همى الأوطان غير هدى من الكتاب وعباد له دانوا
تَشَوَّقَتْ لجنان الخلد أنفسهم فأرعدت في البطاح الحمر فرسان

وهو يؤكد ذلك المعنى في إحدى قصائده المتأخرة، أي تلك التي أنشدها سنة أربع
وسبعين وتسعمائة وألف بعنوان «عودة لاجيء» ويقول فيها:

وتطلعت والخيام حيارى والجراحات حولها والندوب

فإذا	بالنداء	صلصلة	الحق	وأنشودة	ولحن	حيب
من	ربى مكة	يرجعه	الأفق	فتبتل	من نداه	القلوب
رفعت	مأذن	وأطلت	بهده	مشارف	وسهوب	
وتعالت	: الله أكبر	ياوي	لحماها	مضيع	وسروب	

وبهذه الروح الإسلامية كتب الشاعر أروع قصائد الديوان وهي «لم يبق في عرفات إلا دمة» و «دعاء» و «تبسمت حين أشرق فجر» في رثاء المرحوم سيد قطب .. وأرى أن الشاعر بهذه الثلاث عرف طريقه ولن يختار سواه^(١).

وليس يقتصر الأمر هنا على المضمون فحسب - وأنا لم أتعد ذلك حتى الآن وإنما يمتد ذلك إلى الشكل أداء ووقعا وإيقاعا وتصويرا. والحق أننى مضطر إلى أن أحمّد للشاعر بيانه، فقد فجّنا كثيراً وطويلاً بذلك التسيب اللغوى الذي يصدر أغلب شعراء العصر عنه، بلغة جديدة يختلط فيها الثرى بالثرى، ويمتزج اسفلت الطريق بهالات النور، بجانب اشتقاقاته ومصادر صناعية يعلم الله أنها لا تمت إلى العربية على الإطلاق.

أما عدنان النحوي فمن المتطهرين لغوياً - وهو ممن يهتمون بأن للشاعر قاموساً شعرياً ينقيه أو ينخله، بحيث يظل به عصرياً في الوقت الذى يحافظ فيه على لغة القبيلة، وذلك اصطلاح غربي يعنى به الشاعر الناقد الانجليزى توماس اليوت أن يجتهد الشاعر في صنع لغة عصرية دون الخروج عن اصطلاحات اللغة التى وضعت من بعيد لتحترم.

وفي التدليل على ذلك بين يدي القارئ «لم يبق في عرفات إلا دمة» بالرغم من أنها ليست أحلى قصائده، وهى تذكرنى بخليل مطران في كلمة ألقاها قبل أن ينشد مطولته «نيرون» في حفل تنشيط اللغة العربية بالجامعة الأمريكية في بيروت

(١) إلى هنا كانت الكلمة التي ألقاها الاستاذ احمد كمال زكى من إذاعة المملكة العربية السعودية في الرياض. ثم تفضل فأتى بعد ذلك الكلمة للديوان.

- فقد قال: «إنه.. يقدمها دليلاً على الطاقات الهائلة الكامنة في اللغة العربية حتى وهي تتقيد بتقاليد الشعر العربي الموحد الروى».

وأنا أقدم مطولة عدنان النحوي بالشهادة نفسها وفي أبياتها المائة والثمانية والعشرين تلك الساحة اللغوية التي تتجلى في ترسلها.

بيد أننا ما دمنا خصصنا هذه المطولة بالذكر فلا بأس من ان نجعلها - نموذجاً على فنية الشاعر الرفيعة، وأقول رفيعة وأنا أضع في تقديري الكم النغمي الموفور الذي لا تصدره تفعيلات البحر بقدر ما تصدره تركيباته اللغوية بكل تشكيلاتها المجازية، وفي ذلك يتعائق كل من وقع الكلمة المفردة بما هي صوت، وإيقاع العبارات بما هي صرخات، كدليل على ذلك نقرأ معاً المقطع الذي يبدأ بقوله «دار السلام» وهنا الشاعر يجمع بين شعوب العالم العربي كالعراق ومصر وتونس والأردن وغيرها، وقد رسم به وبمقطع قصير من بعده - بغنية قادرة لبكائه من أجل الأقصى تفيض صدقاً وعذوبة.

دار السلام وأي لحن لم يكن	شكوى بدارك إن شدت بغداد
ذكرى لدجلة والفرات وساحة	غناء تخفق عندها الالحن
تمضي رضى الأردن بين مياهها	ذكرى بعيد رواءها الجريان
ذكرى تمر بكل خفقة موجة	أو زهرة فاحت بها عمان
ودمشق تطوياً الضلوع صباية	وتغيب بين جفوني السودان
والمغرب الزاهي أرد لساحه	طرفي فيهبو للقا إخوان
يا تونس الخضراء عهدي بالهوى	صاف وعهدي في الرضى ربحان
ما بال زهرك لا يرفرف بالندى	صبحا ولا تضحى به ألوان
حال الهوى عن عهد أحمد وارنحت	منك العرى وتبدلت أزمان
لولا ندى الإيمان ما حمل الثرى	نبأ ولا غنت بك الأفنان
ردي لمصر إذا نظرت لنيلها	عتى لمن صرعوا هناك وبانوا
الضفتان رؤى يضم شتاها	أيك وتطوي ذكرها الأغصان
ومساجد نضى الهوى بقبابها	جنحيه فانتفضت لها أحزان
الذكريات على رباها زهرة	فيطيب عند شميمها السلوان

وأما المقطع الذى أوله «يا أمة القرآن ...» فشعر صاف مجنحة ألفاظه، موهمة خيالاته، تطفي عليها دائئاً مواقفه الإسلامية الموضوعية .. وفي ظني أن الشاعر يجد دائئاً تناقضاً بين موقفه الفكري ونزوعه العاطفي، وهذا سر تقديمه مجموعة من الصور التقليدية يزجها من تراثنا لتساعده على أن يكون الشاعر الفحل - ولعلنا لا نستكثر عليه من حيث هو شاعر محافظ - وقوعه في سلسلة من المعارضات غنى بها أوتار المتنبي وشوقي وغيرهما.

وبعد، فمن الصعب تحليل صورته في هذه الصفحات، لكن ما يمكن قوله - مع ذلك هو - أنها تشكيلات شاعر يمكن أن نعهده من سلالة عبيد الشعر، وهي جماعة قديمة أخذت نفسها بتنقيح شعرها وتنويعه، لكنها لم تجتمع على أداء فني محدد.

إن عدنان النحوي - بعد كل هذا شاعر مجيد وبأدائه الهاديء الرصين يستطيع أن يقول الكثير ويلفتنا إلى الكثير، وبين هذا وذاك يهيء لنا الجو الذي لا بُدَّه إلا فنان صادق.

الدكتور أحمد كمال زكي



(١) للدراسة الجادة

عبدالعظيم القسبي

تمر الأزمنة بما تحمل من سمات خاصة، وبما فيها من اتجاهات فنية تتفق مع التيارات المتجاوية أو المتعارضة خلالها.

وتتوالى المناهج النقدية المختلفة لهذه الفنون، تحمل من تفسيراتها لها أيضاً، طابع العصور والأمكنة والناس.

وتتصارع الآراء حول توفية أو تقصير هذه المناهج، لما قامت من أجله، لكن هناك قاعدة واحدة تظل فوق هذه القواعد جميعاً، قد تتضاءل عند بعض الناس، وقد تتوهج عند آخرين، ولكنها تظل أبداً خالدة باقية ما بقيت فنون الأدب ومنها - إن لم يكن في مقدمتها - «الشعر».

تلك هي قاعدة التذوق الفطري التلقائي للشعر، سواء أكان مسموعاً أو مقروءاً ذلك لما للشعر من مساس مباشر بالعواطف المخزنة أو المتحفزة في جوانح من يستمعون إليه أو يقرأونه.

إن الأساس الأول الذي ينبغي على الناقد أن يطبقه هو تجنب الابتداء بتطبيق

(١) نشرتها مجلة الفيصل في العدد ٥٤، ذو الحجة سنة ١٤٠١هـ.

القواعد الجاهزة التي أعدها نقاد آخرون، قد تختلف أذواقهم وأفهامهم، في تذوق هذا الشعر المعروض أمامهم، ومن ثم فهم لا يشعرون إزاءه بما ينبغي الشعور به لو أنهم كانوا على صلة روحية مباشرة به.

صحيح أن التذوق يقوم على الانفعال الشخصي للمتذوق، وأن خطر النقد التذوقي يكمن في أن صاحبه قد يقدم لنا انفعاله هو إزاء العمل الفني وليس القيمة الحقيقية التي يستحقها هذا العمل، وأن على الناقد أن يأخذ بالمقاييس التي وضعها النقاد المتمرسون من قبل إن لم يكن قد أضاف عليها شيئاً من عنده، ذلك حتى يفلت من هذه الهوة.

ولكن المقاييس الجامدة لا تكون - في العادة - مقبولة تماماً في غير العلم المادي حيث يكون الهدف، هو الوصول إلى نتيجة محددة، لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال تجارب مقاييس محددة هي الأخرى.

لكن العمل الأدبي قد يختلف باختلاف أذواق مبدعيه وقارئيه وكلاهما لا يمكن - بغير تعسف - فرض القواعد المسبقة على أذواقهم.

ومن هنا يجب أن يكون التذوق - فيما أرى - هو المخبار الأول في النقد، ثم - وهذا في المقام الثاني - الاستعانة بالمقاييس النقدية الجاهزة، مع الدقة اللازمة في اختيار المنهج الذي يلائم الزمان والمكان والظروف المحيطة بالقطعة المراد نقدها.

على أنه - في كل الحالات - لا يجب التجاوز عن القواعد التي اتفق الكل عليها كأساس للعمل الفني، وأهمها - بالنسبة للشعر - سلامة اللغة باعتبارها أداة التعبير، وسلامة الموسيقى، كإطار لا بد أن تتساقط الكلمات من خلاله.

أقول هذا، وقد أتحفى أخي الكريم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة الأستاذ بآداب الإسكندرية، بديوان صديقه، الذي أرجو أن يكون صديقي إن شاء الله، الشاعر عدنان النحوي، - الأرض المباركة - ذلك لأنني أردت أن أستعرض ديوانه هذا، على أساس من هذا المنطلق الذي اخترته.

★ ★ ★

والشاعر «عدنان النحوي» كما يقول الدكتور هدارة في المقدمة القيمة التي قدم بها هذا الديوان «نشأ في صفد بأرض فلسطين في أواخر العشرينات، وأخذت أكمها صباه تتفتح في الثلاثينات، وهي فترة كانت تضطرم فيها أحشاء تلك الأرض الطاهرة بالثورة ضد الاستعمار الإنجليزي المتحالف مع الصهيونية العالمية فارتبط «عدنان» منذ صباه الباكر ببلدته ووطنه وأمته ودينه.

وما من شك أن عدنان نشأ مفطوراً على الشعر، ولم يبعد عنه لحظة واحدة حتى عندما اتجه إلى دراسة الهندسة»^(١). ويتابع الدكتور هدارة تأكيده بأن الشعر بالنسبة إلى عدنان «هو نبض وجدانه ومعاناة عاطفته، وفيض مشاعره، وذوب فكره فليس عنه غناء وليس منه بد...»^(٢).

والحق أن هذا التعريف هو ما يخرج به قارئ ديوان «عدنان» بعد أن يستعرض صفحاته جميعاً.

هذا الديوان الذي يضم أربعين قصيدة ومقطوعة تستقي من ستة مناهل غير منفصلة تماماً، بل إنها تمتزج أحياناً إلى درجة يصعب معها التفريق بينها.

تلك هي الفلسطينية والمراثي والوجدانيات والسياسيات والقوميات والإخوانيات وليس للغزل بينها إلا نصيب يمكن إغفاله.

وتحتل فلسطين سواء في القصائد الخاصة بها أو في القصائد الأخرى نصيباً كبيراً وليس ذلك بعجيب. ففلسطين هي الجزء المنتزع من قلب كل عربي. وأول هذه القصائد «نذير» وقد نظمها سنة ١٩٤٣ وتحس فيها بالنغمة الصاخبة الهاتفة التي تتفق في هتافها مع الغرض السياسي المنظومة من أجله.

أنتم تنوحون والأعداء قد بلغت
شدوا العزيمة، شقوا الدرب، واخترقوا
منكم وجاست خلال الملك تطوينا
صف العدى عصابة لا تظهروا لنا^(٣)

(١) مقدمة الديوان صفحة ٢١ - ٢٢.

(٢) ص ٦٢

ويظل الشاعر ييث الشجون، ويثير العواطف، وكلما مرَّ عيد من الأعياد أضاف
جرحاً جديداً إلى جراحه فهو يصرخ في وجه العيد.

أيها العيد أين منك الوعود طال فيك الرجاء والترديد
أن نرى من شبابنا كل حُرٍّ صاعداً للردى، فذلك عيدٌ^(١)

أو تلسعه دالية «المتنبى» فيتندد وهو يقول :

ما العيد إلا لحر لم يهن أبداً ولا بدا وهو في الأغلال مصفود^(٢)

وهكذا تتجدد مثيرات مشاعره بتعدد المناسبات المتوالية، وتتركز بصفة خاصة،
كلما دار الحديث حول بلد من البلاد التي تربطه بها الأواصر القريبة من الأسرة
أو المولد فهو يناجي «حيفا» من لهفة المحب..

حيفا فديتك ما أبهى مغانيك وكم يطيب الهوى في ظل ناديك
ما الحسن إلا كتاب أنت أسطره أو أنه قبلة قرت على فيك^(٣)

وتنفجر الفاجعة فتعصف بكيانه حين تسقط «صفد» بلده الحبيب فيشتعل شعره
لظى صارخاً وهو يرى أهله ينزحون عنها :

أنزوح، يا ويحهم، أنزوح ورضيع على الأكف ينوح
يبتغي قطرة، وذاك جريح وعجوز مروع، وطريح^(٤)

وهو يقبس من مصارع الشهداء الجذوات التي ينقثها في عروق الباقين، يستثير
فيهم بها روح الكفاح والنضال، ومن قصائده الرائعة في هذا المجال، قصيدته التي

(١) ص ٦٧

(٢) ص ٧١

(٣) ص ٧٣

(٤) ص ٨٦.

يرثي بها الشهيد «عبد القادر الحسيني» والتي يجتتمها موجهها خطابه إلى الشهيد
فيقول :

وخضت شرقها ترمي بوارجهم بفتية نجب لا جحفل لجب
والليل حولك جياش تخوض به كأنها أنت فيه جحفل عجب
لم يبق عندك مذخور فتقذفه أو منجد قائم يدنو ويقترب
وانهالت النار فاستقبلت حرها وأنت في القسطل الحمراء تحتطب
حتى قضيت وفي جنبك أوسمة حمراء لا لؤلؤ فيها ولا ذهب^(١)

★ ★ ★

على أنه، وهو يفعل بالأحداث الدامية التي تجري على «الأرض المباركة»
فلسطين لا تبتعد أحاسيسه - في الوقت نفسه - عن الذي يدور في بعض البلاد
العربية من كبت وارهاق، وعن أحداث، لها في النفس مضاضة ظلم ذوي
القربى كما يقول الشاعر القديم^(٢). فلقد طغت مراكز القوى في بعض هذه البلاد
وساقت إلى السجون والمعتقلات آلاف من الأبرياء. ساقهم أولئك الذين قال فيهم
شاعرنا :

لم تجاوز عزة النفس بهم لفظة ماتت على ثغرم^(٣)

أو كما يصف الشاعر أحد مجالس القضاء السوري التي اقيمت في ذلك العهد،
وما كانت تقوم به هذه المجالس من انتهاك لأبسط قواعد العدالة وفيها يقول.

ومحاكم التفتيش مد رواقها كف يسيل على جوانبها الدم

(١) ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) طرفة بن العبد حيث يقول:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

(٣) ص ١٣١.

ومهازل فيها نحاك فاحق يهذي وحرُّ قيدوه وكمموا
ودعوه بين بنادق مصفوفة وقنا محدة وقيل تكلموا
وأخو القضاء أخو هوى وضغينة وجهالة تبدو عليه وترسم
ياشعب باسمك كم تباح مظالم والشعب لا يدري ولا هو يحكم^(١)

وتلاحقه أطيايف سوداء من ذلك العهد لا تفتأ ترسم أمام عينيه أعواد المشانق التي ارتقى إليها عدد غير قليل ممن وخزتهم شوكة الحرية. وكان أن نظم سنة ١٩٧٢ قصيدة بالغة الأسى والشجن تقع في اثنين وسبعين بيتاً يرثي بها المفكر الإسلامي سيد قطب والتي نختار منها هذه الأبيات ويقول فيها عن هذا الشهيد.

إنه خفقة اليقين، أمانني	.. جهاد، نسائم القرآن
هب كالليث، والدياجير حمقى	جامحات، مفلوطة الأرسان
تنزع الناس، والخلاتق حيرى	تائهات الأبصار والآذان
كتل كالعبيد ينهبها السوط	جنونا تساق كالقطعان
الطريق الطويل شق عليها	فهوت في مزالق وهوان
فتنة تهدر المروءات فيها	وتردى كرامة الإنسان
غير أن العبيد قتلها الذ	ل فلم ترتعش لسوط هوان
إيه يا سيد حملت إلى النا	س سلاما وروعة من بيان
وأقاموا عليك من ظلمة اللي	ل سجوننا مخنوقة الجدران
وأقاموا لك المشانق أعوا	دا ومدوا حبائل البهتان
وتبسمت حين أشرق فجر!	وأطلت من الخلود أمانى
وتركت الذليل يقتله الحق	د على مرجل من الغليان

ويختتم قصيدته موجهاً للشهيد سؤاله الشامت بهذه العصابة :

أين فرعون والعصابة والس	وط وذل الرفاق والأعوان؟
هلكوا في متاهة الشرك أجبا	فا وحلقت في نعيم حاني
فمضيت معالماً في طريق	ومنارا للتائه الحيران ^(٢)

(١) ص ١٣٥. (٢) ص ١٣٨.

وتنطلق لواعج «غدنان» من عقالها وتنقل بحيث تشمل بلاد المسلمين جميعاً
وقد راعه أن :

أحنت منائرهما الهضاب تفجعا وبكى على فرسانه الميدان
وتشعبت دون الظلام مسالك شتى وكان سبيلنا القرآن^(١)

ومن ثم نظم أكبر قصائده «لم يبق في عرفات إلا دمة» في مائة وثلاثين بيتاً
بكى فيها واستبكى ووقف في دروبها واستوقف وأنا هنا أنقل بعض أبياتها بلا ترتيب
إذ كان هدفي هو الإشارة إلى بعض البلاد الإسلامية أو التي رفرقت عليها راية
الإسلام من قبل والتي جمعها في هذه القصيدة :

والسور تنهد حوله الفرسان	ردي رواي (الصين) أين قتيه
والذكريات على ذراه أذان	و (السند) ما للداجيات تلفه
نحن من سلطانها السلطان	ردي رواي (الهند) أين شريعة الرُّ
شكوى بدارك إن شدت (بغدان)	(دار السلام) وأي لحن لم يكن
ذكرى يعيد رواءها الجريان	تمضي ربي (الأردن) بين مياهاها
وتغيب بين جفوني (السودان)	و (دمشق) تطويها الضلوع صباة
طرفي فيهبو للقاء إخوان	و (المغرب) الزاهي أردّ لساحه
صاف وعهدي في الرئي ربحان	يا (تونس) الخضراء عهدي بالهوى
عتى لمن صرعوا هناك وبانوا	ردي (لمصر) إذا نظرت لنيلها
أختاه تنهش أضلعي الغريان	وتلفت (الأقصى) (لمكة) لوعة
أين الملايين الغناء أهانوا؟	أختاه أين المسلمون وحشدهم؟

يشير في الشطرة الأخيرة وفي كلمة (غناء) بالذات إلى الحديث الشريف القائل
«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصاعها، قالوا أو عن
قلة نحن يومئذ يارسول الله قال ولا، ولكنكم غناء كغناء السيل» أي لا غناء
فيهم.

* * *

(١) القصيدة كاملة من ص ١٤٤ - ١٥٦.

تلك هي ثورة «عدنان» كما قرأناها في قصائده، أما حين يهدأ - وقليلًا ما يكون - فهو وصاف يتأنق في وصفه فيجيد، وإنك لتجد مثالاً لذلك في هذا المنظر الطبيعي الذي تختاره له من قصيدته «صفد» بلده الحبيب، والتي يناجي فيها بعض تفاصيل هذه الصورة الجميلة بقوله:

يا زهرة اللوز الشهي وطلعة النـ	نور البهي وغرسة الأجداد
يا غرسة العناب مدت كفها الـ	مخضوب من فرع لها مياد
كالغداة الحسناء خلف خباثتها	دفعت بنانا للمحب الصادي
يا أمسيات في «الرجوم» ^(١) كأنها	عطر الشباب وبهجة الأعياد
و «البحرة الزرقاء» ^(٢) دون شعابه	نزلت فأنزلها سواد فؤاد
نهدت بجنيها الرمي وتوثبت	نهدين مضطرين فوق مهاد
أهدى لها الليل الشجي غلالة	سمراء تحفق في ظلال سواد
وشت حواشيها النجوم لآلئنا	تطوي وتنشر من بريق هادي
والبدر بين الناهدين كمامة	موصولة في جيدها بقلاد ^(٣)

★ ★ ★

وصياغة «عدنان» عربية أصيلة، لا نأخذ عليه فيها إلا القليل النادر من مثل استعماله لكلمة عجز كمرادف لكلمة شيخ في قوله:

وفي جبهة الشيخ المعجوز له يد وفي قلبه آياته ومآربه^(٤)

فإن كلمة عجز لا تطلق على الرجل وفي القرآن الكريم ألد وأنا عجز وهذا بعلي شيخاً. ولعل كثرة قراءات عدنان فيما نظم الأقدمون هي التي تركت بعض آثارهم تقفز من ذاكرته لتأخذ وضعها في بعض أبياته كقوله:

(١) الرجوم مكان يطل على بحيرة طبرية ينتزهون به.

(٢) بحيرة طبرية.

(٣) ص ١١٧ (١٦) ص ١٦٨ (١٧) ص ١٧١

(٤) كلمة عجز تصح للرجل والمرأة فلا خطأ.

أيتها النفس أجلي جزعا وابتسمي كل فرقة ستهون^(١)

فإن صدر هذا البيت هو بذاته صدر مطلع قصيدة لشاعر قديم يقول فيه :

أيتها النفس أجلي جزعاً إن الذي تحذرين قد وقعا

وأخيراً أشكر للصديق الكريم الدكتور محمد مصطفى هدارة مرة أخرى أن أتاح لي هذه المتعة الأدبية التي أمتعت روحي بها بضعة أيام، عشت فيها مع أنغام الشعر الأصيل في زمن قل فيه الشعر.

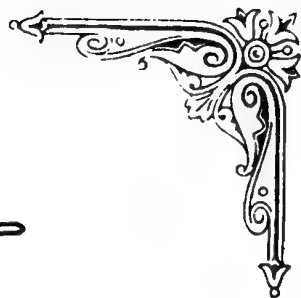
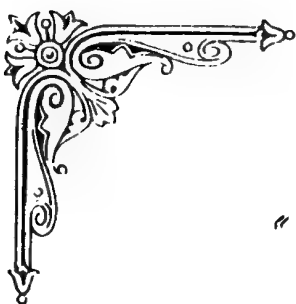
الاسكندرية

[٣ شارع ابن ملاعب - الحضرة القبليّة]

عبدالعظيم القبتاني

(١) البيت هو : (إيه يانفس) ولو كانت (أيتها) فالبيت يختل وزنه ويصبح الشطران من بحرین

مختلفين والبيت في القصيدة مصحح من الخطأ.



كَلِمَةُ مَجَلَّةِ "الْجَدِيدِ"

شاعر الأكل من صحن القضية

بقلم زهير مارييني

نادراً ما كنت تجد إنساناً عربياً لا يتباهى بأنه يحفظ الشعر، ويتغنى به،
وينشده.

كان هذا في الماضي القريب، يوم كان الشعر صناجة القضايا العربية، وعودها
ونايها. ويوم كان الشاعر العربي يموت ولا يحني هامته.. ويتحدى السلطان الذي
يحاول أن ينال من كبريائه. أما الآن فقد تحول الشعر في عصر الجماهير
والميكروفونات إلى أرخص أنواع السلع، وذلك حين أصبح للنهد البارز شاعر،
وللفخذ البض شاعر، وللخصر وما بين أعلاه وأسفله شاعر من أصحاب
الاختصاص.. وأمسى شأن الشاعر يقدر بنوع الورق الفاخر الذي يطبع عليه
شعره غير المقفى.. وينحط بمقدار رخص الورق.

ولقد كنا في الزمان الأول نتطلع إلى مضمون الشعر وجودته، أما عهد
الانقلابات والثورات والإيديولوجيات، فقد أصبح سعر الشاعر يرتفع وينخفض
بمقدار ما ينحني بوز الشاعر ليلامس الأرض وما يسير عليها عادة... لهذا أقسمت
برؤوس هوشه منه وكيم إيل سونغ وتشبي غيفارا على عدم الاقتراب من ديوان شعر،
أو ملاسته سواء بقافية أو بدونها..

أقول قولي هذا وأنا أمسك بيدي، برضائي التام، مستغفراً ربي، ديوان شعر اسمه الأرض المباركة لمؤلفه عدنان النحوي.. أما ناشره فهو الأستاذ زهير شاويش صاحب دار نشر المكتب الإسلامي الذي لا يتسلّى عادة في طبع الكتب فكيف إذا كان الكتاب ديواناً للشعر، وفي عام ١٩٧٨.. لقد استغربت أن يقوم رجل بوقار الشاويش على الاقتراب من الشعر الجديد، فلم يسبق له أن تعاطى مثل هذه الأمور، كما أنه لم يعرف عنه الاقتراب، لا في السر ولا في العلن، من شعراء مابعد الانقلابات والثورات.. فالرجل مؤمن يصلي ويصوم ويحج ويذكي، والاقتراب من أمثال شعراء العصر ينقض الوضوء... ولكن بعد أن صليت العشاء وأمسكت بالكتاب الديوان نسيت الشعر والشعراء، ولم أفارقه إلا على مؤذن الفجر وهو يتلو بصوت شجي :

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾.

عندها فقط عرفت سر التسمية بالأرض المباركة، عرفت من خلال قصائد النحوي أنه من هناك من البلد الذي يبكي عقوق الأهل قبل عقوق الأصدقاء، وجحود الأقارب قبل جحود الأعداء..

أنا يا أخت ضائع لست أدري	أين قومي وأي أرض أجوب
في ضلوعي أسي وفي العين دمع	يتنزي وفي الفؤاد ندوب
وعلى الوجه بسمة ظللتها	غبرة الموت واعتراها شحوب
وديب الأيام ينزع مني	نفساً خافقاً وروحاً يغيب

وهو حين يرى الدماء البريئة تنزف ظلماً يقول :

أدم يراق وفية يتساقطون وعصبة الطاغوت فيهم تحكم
والشعب مسكين يجرد فوقه سيف تشل به اليدان ويلجم

لقد أدركت من خلال ما قرأت من شعر أن الشاعر لم يأكل من صحن القضية،

وأنه أكبر من شعره وأنه من أهل النضال العربي والوعي الإسلامي .. وأنه فوق
هذا وذاك ملتزم بقضايا بلاده، مؤمن بربه متعلق بدينه وعقيدته ... وهذا كله
يعتبر الآن رابع المستحيلات إذا أضفنا إليها الغول والعنقاء والحلحلي الوفي.



لمحنة عزيمة اللولاء للدرافنية

بإشراف حلمي الأسمر

الشعر ميدان خصب يستطيع فيه الشعراء أن يثثوا من خلاله مشاعرهم، ويشحذوا مشاعر الناس ومهمهم، لعلهم يعون واقعهم ويسعون إلى التغيير.

والديوان الذي بين أيدينا هو لواحد من أبناء الأرض المباركة فلسطين، وهو واحد من أبناء صفد، ولد في أواخر العشرينات. ورغم أن ميدانه الدراسي ليس الأدب بل الهندسة، فإن محاولاته في الشعر كانت منذ نعومة أظفاره... وقد نمت هذه الموهبة وصقلت وخرجت في هذا الديوان الذي هو الأول للشاعر.

وقصائد الديوان يطبعها طابع الشعور بالمأساة الفلسطينية وإدراك أن حل هذه المأساة لا يكون إلا بالإسلام، هذا إلى جانب معاناته لأحداث العالم العربي... وقد حفل الديوان بالعديد من القصائد في شتى المجالات فجمع بين الإخوانيات والوطنيات والإسلاميات والرياء والاجتماعيات.

وقد قدم الدكتور محمد مصطفى هدارة للديوان، فتحدث عن الشاعر وعن الديوان، وتحدث عن اهتمام الشاعر بمدينة صفد ثم بالمدن الفلسطينية الأخرى... وتحدث عن ظاهرة عدم وجود شعر غزل في ديوان الشاعر إلا في مقطوعتين تعبران

عن شوق وحنين في فترة الصبا الباكر... وقارن الدكتور بين نهاذج من شعر عدنان النحوي وشعر المتنبي وأحمد شوقي.

افتتاح الحيوان وعقيدة الشاعر

ونطالع الديوان فنجد أن الشاعر افتتح الديوان بقصيدته الروحانية - دعاء - ولعل هذا الافتتاح مايدل على عقيدة الشاعر، وإيمانه بأن التوجه إلى الله هو السبيل للمخلص من كل الآلام التي تعاني منها البشرية في العصر الحاضر... وهو يصف حاله الذي يمثل حالة المسلمين فيقول:

يارب هذا دعائي كيف أرفعه إليك وهو على الآثام محمول
لولا التأمل في رحاك ما انفرجت نفس ولا كان للملهوف تجميل
يارب انت وليي فاهديني سبلا إلى الرشاد، دعائي فيك مأمول
يارب أنت الذي أرجو معونته في كل أمري، رجائي فيك موصول

وبعد هذا الدعاء يقدم لنا قصيدة في الرثاء. وأصدق ما يكون الرثاء حين يكون قريب، وأي قريب هو أشد قرابة من الأم... توفيت والدة الشاعر سنة ١٩٥٢ فخاطبها قائلاً :

أماء أطلقها الفؤاد ومازجت صوت النواح مدامع الأجفان.

وفي هذا البيت نلمح إلى أي مدى وفق الشاعر في المزاوجة بين الأحاسيس التي اشتركت في الحزن، فالفؤاد صرخ أماء، وصوت النواح رافقه الدمع، وهكذا كانت كل الحواس حزينة... والقصيدة طويلة إذ جاوزت الثلاثين بيتاً واستوعبت كل مايمكن أن يقوله ابن لأم متوفية...

وبحس الشاعر أن أبناء قومه أغراهم الكسل فيخاطبهم قائلاً :

فيا قومي استولى النعاس عليكم
فنالوا منالاً قد رواه جبينهم
وأنتم أقمتم في خباء من الكرى
ولم تنهضوا حين استفز شعوركهم
بني وطني هبوا فقد طال نومكم
ألا فُرض تغدو وتعدو سريعة
وغيركم بالدهر يشقى ويتعب
وأُسسه عزم شديد مذبذب
وقامت بنات الدهر تبكي وتندب
ونبهكم هذا العدو المجرب
وباتت عليكم فرصة الدهر تغرب
ولست تنال اليوم ما كنت توهب

ويمر العيد على الشاعر، كما يمر على كل أبناء الوطن المشرد، ومع كل عيد يكون هناك أمل ورجاء، وفي أحد الأعياد تذكر الشاعر قصيدة المتنبي الشهيرة التي مطلعها:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد.

فنظم قصيدة - عيد في فلسطين - على نفس البحر والقافية وجعل مطلعها :

أيها العيد أين منك الوعود طال فيك الرجاء والترديد

وقد كان للشهداء نصيب في ديوان الشاعر... فقد رثى الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في معركة القسطل سنة ١٩٤٨ في قصيدة مطلعها :

عاد الهزبر فما للقلب يضطرب وللعيون وهذا الدمع ينسكب
جاء البشير الينا والنمي معاً كلاهما خفقة: فالنصر والحرب

وإن كان الشهيد عبد القادر الحسيني قد سقط دفاعاً عن الأرض، فإن هناك شهيداً آخر استشهد لأنه كان يقول الحق ﴿وما تقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾.. هذا الشهيد هو الشهيد سيد قطب. وقد رثاه الشاعر بقصيدة طويلة جاوزت السبعين بيتاً. تحدث فيها عن الشهيد ومواجهته للإعدام... وقد اتبع في القصيدة أسلوب القدماء، فكانت هناك مقدمة ناجى فيها الشاعر الطيور والزهور وكأنه يريد أن يجعل من في الكون كله يشعر بهذا الحدث الجلل.

والمفروض أن لا يكون في الرثاء شعر طبيعة، ولكن يبدو أن الشاعر لا يريد أن يجعل من هذه القصيدة مرثية، بل قصيدة اعتزاز بالشهيد، وإن الشهادة هي خير ما يتمناه الإنسان، وهو لذلك جعل عنوانها - وتبسمت حين أشرق الفجر - وجعل مطلعها...

غردى يا طيور والتقطى الحـب وطوفى بروضة ومغاني.

ولعل أروع ما في الديوان قصيدته المطولة - لم يبق في عرفات إلا دمعة... بدأ الشاعر القصيدة بمناجاة أرض الحرم ووصفه ومباركته، ويتألم على حاضر المسلمين، فيسأل الصين عن قُتَيِّة بن مسلم الباهليّ ويسأل السند عن الفاتحين، ويسأل دار السلام وتونس والمغرب وياقي الدول العربية... ويفرد للأقصى جزءاً من القصيدة، ويقرن بينه وبين مكة في قوله :

وتلقت الأقصى لمكة لوعة	أختاه! تنهش أضلعي الغربان
أختاه! أين المسلمون وحشدهم	أين الملايين الغناء! أهانوا؟
أختاه! وانقطعت جبال ندائه	واغرورقت من دمعه الأجفان
وهوت معاول كي تدق حياضه	وهوت على أمجاده الجدران.

وتحدث عن عرفات بكلام مهذب يسيل رقة وحنانا، ولا يملك من يتأمله إلا أن يبكي فيقول :

عرفات ساحات يموت بها الصدى	وتغيب خلف بطاحه الألوان
لم يبق في عرفات إلا دمعة	سقطت فبكت حولها الوديان
هي دمعة الإسلام يلمع حولها	أمل وتهرق بينها الاحزان.

ويعد هذا الاستعراض السريع للديوان لا نملك إلا أن نسجل الملاحظات التالية :

١ - الأسلوب الغالب على لغة الشاعر. هو الأسلوب الكلاسيكي ومحاولة محاكاة القدماء.

٢ - للشاعر نفس طويل برز في أكثر من قصيدة، هو يدل على موهبة متوقدة ولا شك أن عنده المزيد.

٣ - المزج بين الوطنية والتدين أمر محبوب بلا شك، وإن كان أحياناً يبدو فصل بين القضيتين، لكننا نرى في - لم يبق في عرفات إلا دمعة - المزج الرائع بين الإسلام وقضية فلسطين.

٤ - الألفاظ عموماً سهلة، رغم عدم وجود معجم شعري خاص للشاعر.

٥ - اتبع الشاعر وحدة القصيدة لا وحدة البيت مما أضفى على القصائد تماسكاً وارتباطاً.

٦ - شكل القصيدة هو الشكل العمودي، ولا توجد أي قصيدة من الشعر الحديث

٧ - نجح الشاعر في الموسيقى الداخلية والخارجية في القصائد وإن كان أغلب استعماله للأبحر الطويلة - الطويل، البسيط، الكامل - ولكنه وفق عموماً في موازنة موضوع القصيدة مع البحر الذي نظمت عليه.

بعد هذا كله نقول: إن محاولة الشاعر هي لبنة جديدة تضاف إلى الأدب الإسلامي الملتزم الذي نأمل أن يزداد أو أن نرى كل يوم ديواناً جديداً لشاعر مسلم ملتزم.

احمد عوض النشاش

الأرض المباركة

وحاء

يَا رَبُّ! هَذَا دُعَائِي كَيْفَ أَرْفَعُهُ
إِلَيْكَ وَغَوَّ عَلَى الْآثَامِ مَحْمُول

لَوْلَا التَّأَمُّلُ فِي رُحْمَاكَ مَا انْفَرَجَتْ
نَفْسٌ وَلَا كَانَ لِلْمَلْهُوفِ تَجْمِيلُ

★ ★ ★

يَا رَبُّ! أَنْتَ وَلِيِّي فَأَهْدِنِي سُبُلًا
إِلَى الرَّشَادِ، دُعَائِي فِيكَ مَأْمُول

يَا رَبُّ! أَنْتَ الَّذِي أَرْجُو مَعُونَتَهُ
فِي كُلِّ أَمْرِي، رَجَائِي فِيكَ مَوْصُولُ

★ ★ ★

كَمْ دَمْعَةٍ سَفَحَتْ فِي اللَّيْلِ سَارِبَةً
وَكَمْ تَرَدَّدَ فِي جَنْبِي تَغْلِيلُ

وَكَمْ تَنفَسَ صُبْحُ مَا نَسَائِمُهُ
إِلَّا ابْتِهَالٌ إِلَى الرَّحْمَنِ مَقْبُولُ

وَمَا نَدَاهُ سِوَى دَمْعٍ أَكْفَكِفُهُ
يَا رَبِّ! عَلَّ دُعَائِي مِنْكَ مَقْبُولُ

خَفَقَ الْقُلُوبُ دُعَاءُ أَنْتَ تَسْمَعُهُ
وَلِلْجَوَارِحِ تَسْبِيحُ وَتَهْلِيلُ

★ ★ ★

١٩٦١

توفيت والدتي السيدة عطرة عبدالكريم محمد الحاج
عيسى في المستشفى في دمشق سنة ١٩٥٢. نقلت من
المستشفى إلى البيت، فوقفت أمام جثمانها أنظر إلى قسمات
وجهها مع هذه الأبيات.

أُمّاه

قَوْمِي أَنْظُرِي أُمّاهُ لَوْ تَرَكَ الْأَسَى
عَيْنًا وَضُمِّينِي لِصَدْرِ حَنَانٍ

وَتَبَسُّمِي وَالْمَوْتُ يَنْشُرُ ظِلَّهُ
وَتَغِيبُ فِي طَيَّاتِهِ الشَّفَافَتَانِ

مُدِّي إِلَيَّ يَدًا تُعَانِقُنِي، وَهَلْ
تَقْوِي؟ وَقَدْ وَهَنْتُ لِذَاكَ يَدَانِ

وَتَكَلِّمِي! أُمّاهُ إِنِّي سَامِعٌ
لُغَةِ الْوَدَاعِ وَمُنِصِتٌ لِبَيَانِ



حَتَّى سَكَنْتِ إِلَى الْخُلُودِ وَخَالَطَتْ

قَسَمَاتِ وَجْهِكَ عِبْرَةُ الْحَدَثَانِ

وَمَثَلَتْ صُورُ الْمَنِيَّةِ وَأَنْطَوَى
أَمَلٌ وَغَابَ بُلْجَةٌ الْأَحْزَانِ

أُمَاهُ! أَطْلَقَهَا الْفُؤَادُ وَمَازَجَتْ
صَوْتِ النُّوَّاحِ مَدَامِعُ الْأَجْفَانِ

وَنُقِلَتْ لِلْبَيْتِ الَّذِي غَادَرْتِهِ
حِينًا! مُحْمَلَةٌ عَلَى الْأَكْفَانِ

وَقَضَيْتِ فِيهِ لَيْلَةً وَكَأَنَّهَا
عُمُرٌ وَنَغْصُ الْعُمُرِ لَيْسَ بِفَانِي

يُلْقِي عَلَيْكَ بَنُوكَ مِنْ أَكْبَادِهِمْ
قِطْعًا تَذُوبُ بِمَدْمَعِ هَتَانِ

وَأَسَى إِذَا مَا مَسَّ جَانِبَ صَخْرَةٍ
لَا ذَا بَهَا فِي ثَوْرَةِ الْبُرْكَانِ

★ ★ ★



يَا أَيُّهَا الْجَسَدُ الْمَسْجَى أَيْنَ مَا
حَمَلْتَهُ فِي خَافِقِ
وَجَنَانِ

وَجَوَارِحِ بَرَدَتْ وَعَيْنُ أَغْمَضَتْ
وَقَمِ يَكْتُمُ سِرَّهُ
وَنَنَانِ

أَيْنَ الرُّوَايَةُ إِذْ تَلَوْتَ فُصُولَهَا
وَطَوْتَ صَحَائِفَهَا يَدُ الْأَرْمَانِ

★ ★ ★

يَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ أَيْنَ جُمُوعُكُمْ
تَسْعَى ثِقَلُ مُطِيبِ الْجُثْمَانِ

وَالظُّرْفُ مُنْكَسِرٌ أَسَى وَمُبَلَّلٌ
وَالْخَطُوفُ فِيهِ تَهْمَلُ الرَّهْبَانِ

يَا أُمُّ تَبْكِيكِ الرَّجَالُ كَأَنَّمَا
هُمْ نِسْوَةٌ بَكَتْ عَلَى شُبَّانِ

الْخِفْرَةَ يَطْوِي السُّعَاةُ بِسَاطَهُمْ
يَتَسَابِقُونَ فَوَارِسَ الْمِيدَانِ



مَا لِي عَجِبْتُ وَكَمْ أُودِعُ صَاحِبًا

فِي التُّرْبِ أُودِعُهُ بِدَمْعٍ قَانِي

يَا قَبْرُ كَمْ هَطَلْتُ عَلَيْكَ مَدَامِيعَ

سَبَقْتُ وَكَمْ حَرَكْتُ مِنْ أَشْجَانِ

وَالْيَوْمَ أُودِعُكَ الْأُمُومَةَ إِنِّهَا

دُنْيَا تَنْفُسُ عَنْ هَوًى وَمَعَانِي

يَغْفُو عَلَيْكَ مِنَ النَّسِيمِ عَلِيلُهُ

وَيُطِلُّ فَوْقَكَ وَارِفُ الْأَغْصَانِ

يَا أُمُّ أَيْنَ مَرَابِعُ بَسَمْتُ لَنَا

وَمَنَازِلُ سَعِدَتْ وَطِيبُ مَكَانِ

كَانَتْ تَهِيئُ إِذَا نَزَلَتْ ظِلَالُهَا

وَتُجُوجُ فِي طَرَبٍ وَحُلُوِّ أُمَانِي

وَلَكُمْ مَسَحَتْ لِي الدُّمُوعَ بِرَاحَةِ

نَشَرَتْ عَلَى خَدَّيْ ظِلُّ أَمَانِ



وَإِذَا سُرْتُ فَبَسْمِي وَطَلَّاقِي
وَإِذَا شَكُوتُ فَمَدْمَعِي وَلِسَانِي

وَدَفَعْتَنِي لَمَّا خَشِيتُ وَقُدَّتَنِي
لَمَّا ضَلَلْتُ وَزِدْتُ مِنْ إِيْمَانِي

عَجَباً إِذَا مَنْ لِلدُّمُوعِ يَرُدُّهَا
يَوْمَ الْفِرَاقِ وَمَنْ يُعِيدُ جَنَانِي

بِالْأَمْسِ أَضْحَكَنِي وَأَنْسَانِي الْأَسَى
أَمَلُ ذَوَى وَالْيَوْمَ قَدْ أَبْكَانِي

★ ★ ★

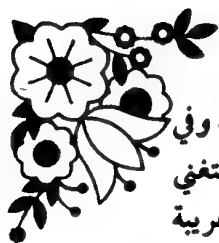
يَا أُمُّ فَكَّ الْمَوْتِ قَيْدًا قَاسِيًا
وَطَرَحْتَ عَنْكَ غَلَائِلَ الْإِنْسَانِ

وَتَرَكْتَ خَلْفَكَ غَيْرَ آهَةٍ لَهَا
دُنْيَا وَآثَرَتْ النِّعِيمَ الثَّانِي



١٩٥٢





هدأت الثورة الفلسطينية مع نشوب الحرب العالمية الثانية وفي
حدود عام ١٩٤٣ شعرت أن الشكوى أكثر من العمل والتغني
بالأعجاد أسلوب القاعدين، وبدأت أفكار بعيدة عن أمتنا غريبة
عن عقيدتنا.

نذير

يَا لِلدَّيَارِ وَيَا لِلْمَجْدِ مِنْ زَمَنِ
هَاجَتْ نَوَائِبُهُ تَطْوِي بَوَادِينَا

شَادَ الْأَلَى غَبَرُوا صَرْحاً فَقَامَ لَهُمْ
وَعَارَ فِي لَهَوَاتٍ مِنْ تَوَانِينَا

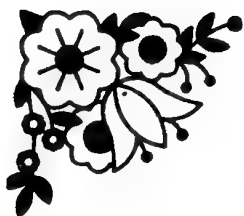
لَا يَدْفَعُ الدَّمْعُ عَنَّا أَيَّ نَازِلَةٍ
وَلَا يُعِيدُ التَّغْنِي زَهْوَ مَاضِينَا

نَرْقَى إِلَى الْمَجْدِ إِنْ صَحَّتْ عَزَائِمُنَا
وَنَارَكَ اللَّهُ مَا تَبْنِي مَسَاعِينَا

★ ★ ★

مَا لِي أَرَى الْأَرْضَ ثَارَتْ مِنْ تَقَاعُسِنَا
وَرَجَّعَتْ بَيْنَنَا صَوْتًا يُنَادِينَا





كَأَنَّمَا اتَّقَدْتُ أَحْشَاؤَهَا جَزَعًا
وَوَلَوْتُ رَهْبًا مِنْ وَقَعِ فِينَا

وَهَبْتُ الرِّيحُ أَنْسَامًا مُعْطَرَةً
قَدْ دَاعَبَتْ عَبَقَ الْمَاضِي رِيَّاحِينَا

وَمَرَّتِ الْيَوْمَ بِالْأَطْلَالِ فَاْمْتَلَأَتْ
شِعَابُهَا مِنْ رُؤْيِ الْآتِي سَرَّاحِينَا

★ ★ ★

قِفْ، حَاسِرَ الرَّأْسِ ، وَاخْشَعْ فِي مَنَاجِبِهَا
فَكُلِّ نَاحِيَةٍ ذِكْرِي أُمَانِينَا

وَأَمْشِ الْهُوْنَا وَنَاجِ الْقَلْبَ فِي وَلَهٍ
مَا ضَرَرْنَا لَوْ حَفِظْنَا الْعَهْدَ وَالْدِّينَا

هُنَاكَ قِفْ وَتَلَقَّنْ وَامْتَلِئْ شَجْنَا
وَأَنْشُرْ مَبَادِيءَ صِدْقِي فِي نَوَادِينَا

هُنَاكَ مِنْهَا تَسَلَّمْ وَخِي صَادِقَةٍ
وَخِي الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ تُحِينَا

★ ★ ★

هُبُّوا سِرَاعًا إِلَى حَوَمَاتِ مُعْتَرِكِ
مِنْ الْجِهَادِ يُدْوِي مِنْ رَوَابِينَا



هَلْ تَحْسَبُونَ بَأْنَ اللَّيْلِ مُنْعَقِدُ
فَنِمْتُمْ وَضَلَلْتُمْ فِي دِيَاغِينَا

الشَّمْسُ وَضَاحَةٌ فِي الْأَفْقِ فَانْتَبَهُوا
وَسَارِعُوا فَعُرُوبُ الشَّمْسِ دَاعِينَا

لَا تَذْهَبُوا فُرْصَ الْأَيَّامِ عَاطِلَةً
وَقَدْ أَتَتْكُمْ حُلَاهَا مِنْ أَمَانِينَا

وَحَقِّقُوا أَمَلًا فِي الصُّدْرِ مُضْطَرَمًّا
لَوْلَاهُ مَا نَبَضَتْ أَعْرَاقُنَا فِينَا

★ ★ ★

مَاذَا يُفِيدُ نُوحٍ فَوْقَ غَالِيَةٍ
مِنَ التَّرَاقِ تَدَاعَتْ مِنْ تَدَاعِينَا

أَنْتُمْ تَنُوحُونَ وَالْأَعْدَاءُ قَدْ بَلَغَتْ
مِنْكُمْ وَجَاسَتْ خِلَالَ الْمَلِكِ تَطْوِينَا

شُدُّوا الْعَزِيمَةَ، شُقُّوا الدَّرَبَ وَاخْتَرَقُوا
صَفَّ الْعِدَى عُصْبَةً لَا تُظْهِرُوا لِينَا

عَلَّ الزَّمَانَ الَّذِي غَابَتْ طَلَائِعُهُ
يَعُودُ يُشْرِقُ شَمْسًا فِي لَيَالِينَا

دارنا

كان لنا دار في صفد، نسفها الانكليز خلال اعوام ثورة
١٩٣٦. وعندما عدنا إليها بعد سنوات كانت أطلالا، إلا جداراً
واحداً بقي شامخاً لم ينهدم. وقفت أمامها مع هذه الايات سنة
١٩٤٣.

وعندما تلقينا خبر نسف الدار كنّا في دمشق وكنت بحدود
الحادية عشرة من العمر. مازلت أذكر مع حدائث السنّ آنذاك أن
والدي رحمه الله سأل عن شيء واحد: «ماذا حدث للمكتبة؟»
ولقد كانت عزيزة عليه تحمل ثمرة جهود وتاريخ أجداد وكتبها
ومخطوطات. ولما قيل له أخرجها أحد الأصدقاء قبل النسف
ونجت المكتبة سرّاً سروراً عظيماً وحمد الله على فضله. وقد ذكر
هذه المكتبة الأستاذ محمد كرد علي في كتابه خطط الشام.



والزنا

مَجْدٌ تَهْدَمُ إِلَّا حَائِطًا هَرَمًا
وَالْمَجْدُ أَخْلَدُهُ مَا عَهْدُهُ الْقِدَمُ

وَقَفْتُ أَسْتَنْطِقُ الْأَخْجَارَ أَسْأَلُهَا
وَالصَّخْرُ يَتَلَوُ حَدِيثًا كُلُّهُ حِكْمُ

سَأَلْتُهَا عَنْ بِلَادِي وَهِيَ نَازِفَةٌ
عَنِ الدَّمَاءِ وَعَنِ صَيْدٍ وَمَا رَسَمُوا

قَالَتْ - وَرَدَّدَتْ الْأَضْدَاءَ أَوْدِيَةً
وَالسَّهْلَ وَالرَّوْضَ وَالسَّاحَاتُ وَالْقِمَمُ

فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَرْضِنَا عَلِمَ
بَاقٍ عَلَى صُعْدِ الْأَيَّامِ يُسْتَلَمُ

★ ★ ★



لَمَّا أَتَوْكَ فِي إِقْبَالِهِمْ صَلَفَتْ
وَأَشْعَلُوا النَّارَ وَالْبَارُودَ وَانْهَزَمُوا

تَفَرَّقُوا وَكَانَ الْبِشْرَ ظَنُّهُمْ
بِالْأَبِيسَامَةِ وَجْهَ مُشْرِقٍ وَقَمٍ

وَلَمْ يَبْنِ أَثَرٌ فِي الدَّارِ أَوْ ضَرَرٌ
كَأَنَّهَا الدَّارُ لِلْأَهْوَالِ تَبَسَّيْمُ

عَادُوا إِلَيْكَ بِأَحْقَادٍ مُؤَجَّجَةٍ
مَا أَشْهُ الْحَقُّ بَاقٍ لَيْسَ يَنْهَدِمُ

وَكَرَّرُوا فِعْلَهُمْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ
حَتَّى غَضِبْتَ وَفَارَتْ دُونِكَ الْحِمَمُ

رَشَقْتِهِمْ بِعَظِيمِ الصَّخْرِ يَصْرَعُهُمْ
وَيَصْرَعُ الظُّلْمُ! كَمْ جَارُوا وَكَمْ ظَلَمُوا

★ ★ ★

الْجَرَمُ الْيَوْمَ عَنْ بُعْدِ رَأْيٍ وَكَى
طَوْدًا أَشْمُ يُضَاهِيهَا الشُّمَمُ

وَسَطَ الْمَدِينَةِ دَارٌ قَدْ زَهَتْ شَرْقًا
وَزَانَهَا الدِّينُ وَالْأَخْلَاقُ وَالشُّيَمُ



فِدَى لِدِينِي وَأُوطَانِي ذَهَبَتْ فَلَا
حُزْنَ عَلَيْكَ وَلَا دَمْعٌ وَلَا أَلْمُ
★ ★ ★

١٩٤٣



بِاقِي

فَيَا قَوْمِي اسْتَوَلِيَ النِّعَاسُ عَلَيْكُمْ
وَعَايَرَكُمْ بِالدَّهْرِ يَشْقَى وَيَتَعَبُ

فَنَالُوا مَنَالًا قَدْ رَوَاهُ جَبِينُهُمْ
وَأَسَّسَهُ عَزَمٌ شَدِيدٌ مُدْرَبٌ

وَأَنْتُمْ أَقْمْتُمْ فِي خِبَاءٍ مِنَ الْكَرَى
وَقَامَتْ بَنَاتُ الدَّهْرِ تَبْكِي وَتَنْدُبُ

وَلَمْ تَنْهَضُوا حِينَ اسْتَفْزَ شُعُورُكُمْ
وَنَبَّهَكُمْ هَذَا الْعَدُوُّ الْمَجْرَبُ

أَمَّا رَاعَكُمْ صَوْتُ مِنَ الْغَرْبِ نَاعِبٌ
وَمَا هَزَّكُمْ صَوْتُ مِنَ الدِّينِ يُطْرَبُ



أَمَا أَضْرَمْتَ تِلْكَ الرُّيُوعَ حَمَاسَةً
تُحِيشُ بِصَدْرِ الْحَرِّ، وَالْحَرُّ يَغْضَبُ

أَرَاكُمْ بِلَفْظِ تَضَرُّمِ النَّارِ فِيكُمْ
وَتَذْوِي سَرِيعاً بَعْدَ ذَلِكَ وَتَذَهَبُ

أَرَى لِيَدِ الْأَحْزَابِ فِيكُمْ مَضَارِباً
وَأَيْدِي الْوِثَامِ الْحَرِّ فِيكُمْ تُشَذِّبُ

فَهَذَا سَنَامُ الدَّهْرِ صَغْبُ رِكَابِهِ
وَكُلُّ عَظِيمٍ إِنْ أَرَدْتَ سَيَقْرُبُ

كَذَلِكَ مَنْ رَامَ الْمَعَالِي مَكَانَةً
فَصَغْبَ الْمَطَايَا وَالْمَسَالِكِ يَرْكَبُ

فَدُونَكُمْ الْأَيَّامَ فَاشْقَوْا وَجَاهِدُوا
فَمَا الْعُمُرُ إِلَّا أَنْ تُعَانُوا وَتُطْلَبُوا

★ ★ ★

بَنِي وَطَنِي هُبُوا فَقَدْ طَالَ نَوْمُكُمْ
وَبَاتَتْ عَلَيْكُمْ فُرْصَةُ الدَّهْرِ تَغْرُبُ

أَلَا فُرْصٌ تَغْدُو وَتَعْدُو سَرِيعَةً
وَلَسْتَ تَنَالُ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ تُوهَبُ



مرت علينا أعياد في فلسطين ومع كل عيد كان لنا أمل
ورجاء، حتى كان عيد ١٩٤٥ فهبت الذكريات وتحركت
الشجون.

عيد في فلسطين

أَيُّهَا الْعِيدُ أَيَّنَ مِنْكَ الْوَعْدُ
طَالَ فِيكَ الرَّجَاءُ وَالتَّرْدِيدُ

بَسَمَ الْكَوْنُ إِذْ طَلَعْتَ عَلَيْهِ
وَزَهَا فِي مَدِيحِكَ التَّغْرِيدُ

كُلَّمَا أَقْبَلْتَ صُرُوفُ اللَّيَالِي
غَرَّرْتَ بِالْفُؤَادِ مِنْكَ الْعُهُودُ

فَهَلِ الْعِيدُ حُلَّةٌ مِنْ حَرِيرٍ
وَشَبَابٌ يَلْهُو وَلَيْلٌ وَغِيدُ

إِنَّمَا الْعِيدُ أَنْ تُدَوِّي السَّرَايَا
وَتُدْمِي مِنَ الطَّعَانِ النُّجُودُ



أَنْ نَرَى مِنْ شَبَابِنَا كُلِّ حُرٍّ
صَاعِدًا لِلرَّدَى! فَذَلِكَ عِيدُ

★ ★ ★

هَلْ هَفَا الْقَلْبُ حِينَ مَرَّتْ بِهِ الذُّكْرُ
رَى وَعَادَ التَّحْنَانَ وَالتَّغْرِيدُ

هَلْ شَجَاهُ خَفَقَ الْبُنُودُ إِذَا مَا
رَجَعَتْ خَفَقَهَا هُنَالِكَ بِيَدِ

هَلْ شَجَاهُ أَغْطَافُ مُلْكٍ تَنَاءَتْ
حِينَ كَانَ الْإِسْلَامُ مِنْهَا الْعُمُودُ

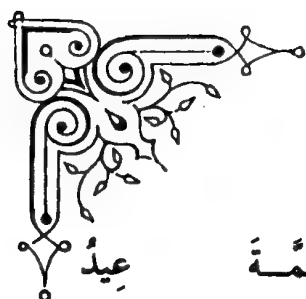
هَلْ رَأَى الْمَلِكَ حِينَ ثَبَّتَ الْمُدَّ
لَكَ جِهَادٌ مِنْ أَهْلِهِ مُحَمَّدُ

هَلْ بَكَى الرُّوضُ حِينَ اقْتُطِفَ الزُّهْرُ
رُ وَلَمَّا قَدْ جَفَّ مِنْهُ الْعُودُ

هَلْ بَكَى الصَّرْحُ حِينَ أَوْدَى بِهِ الدُّهْرُ
رُ وَأَوْدَتْ بِسَاكِنِيهِ الْجُدُودُ

★ ★ ★

ذَاكَ عَهْدُ مَضَى! وَمَا كَانَ فِيهِ
مَنْ يُقَاسِي، وَلَا تَأْسَى شَرِيدُ



حِينَمَا جَمَعَ الْعُرُوبَةَ دِينَ
وَدِيَارَ، فَذَاكَ ثَمَّةَ عِيدُ

هِيَ ذِكْرَى بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَيْنَ النَّ
نِيلِ مِنْهَا دَمْعٌ وَنَوْحٌ شَدِيدُ

هِيَ ذِكْرَى مَا بَيْنَ أُنْدَلُسٍ وَالشَّ
شَرْقِ قَدْ تَمَّ أَمْرُهَا الْمَشْهُودُ

أُمَّةُ الْحَقِّ! مَا دَمَاكَ وَأَوْهَى
جَمْعُكَ الصَّدْعُ وَاسْتَتَبَّ الْجُمُودُ

خَدَعَتْكُمْ وَعُودُكُمْ! فَلَكُمْ مِنْ
هُمْ عُهُودٌ مِنْ بَعْدِهَا وَعُهُودُ

كَمْ مَضَى! كَمْ مَضَى وَأَنْتُمْ أَسَارَى
فِي جِبَالٍ قَدْ طَالَ فِيهَا الرُّقُودُ

فِتْنَةٌ بَعْدَ فِتْنَةٍ بَعْدَ أُخْرَى
وَهِيَاجٌ مِنْ بَعْدِهِ تَشْرِيدُ

فُرُقَ الْأَمَلِ عَنْ حَامِلِهِمْ فَهَذَا
يَتَأَسَى بِغَيْرِهِ مَنُكُودُ

تَسْمَعُ الْأَنَّةَ الْمَرِيرَةَ مِنْهُ
وَتَرَانَا يَرْتِي الشَّهِيدَ شَهِيدُ

وَاخْتِلَافُ الْأَحْزَابِ فِي حَلِّ أَمْرِ
لَيْسَ فِي حَلِّ أَمْرِهِ تَعْقِيدُ

كُلُّنَا يَرْتَجِي خَلَاصَ بِلَادِ
هَامَا الْخَطْبُ! أَيُّ شَيْءٍ جَدِيدُ

جَمَعُوا أَمْرَكُمْ وَهَبُوا فَمَنْ جَدَّ
مَعَ أَمْرًا تَرَعَى هَوَاهُ الْجُدُودُ

★ ★ ★

أَيُّهَا الشُّعْرُ هَلْ مَلَكَتْ زِمَامِي
فَيَطِيبُ الْهَوَى وَيَحُلُّو النُّشِيدُ

نَفَثَ شَاعِرٌ وَوَحْيِي كَرِيمٌ
وَفُؤَادٌ مُحَرَّقٌ مَوْقُودُ

فَازِفُ الْأَنَاتِ حَيْرَى لَعَلَّ أَلْ
قَوْمَ يَضْحَو مِنْ غَفْوَةٍ وَيَعُودُ

فَيَرَى مَا يَحُلُّ بِالْوَطَنِ الْغَا
لِي وَكَمْ تَذْوِي مِنْ صَانِعِيهَا الْجُهُودُ

١٩٤٥

★ ★ ★



سأل العبد الله المحرم بهن ليدرا

هَلْ عُدْتُ بِالْأَمَلِ الْمُخْبُوبِ يَاعَيْدُ
عَوْدٌ سَعِيدٌ فَهَلْ فِي الْعَوْدِ تَجْدِيدُ

مَا زِلْتُ أَرْجِعُ لِلذِّكْرِى قَتُولَنِى
وَفِي التَّذَكُّرِ تَعْذِيبٌ وَتَسْهِيدُ

مَا زِلْتُ أَذْكُرُ أَيَّاماً مَضَتْ وَخَلَتْ
وَالْعِزُّ فِيهَا عَلَى الْأَرْجَاءِ مَمْدُودُ

قَدْ كَانَ يَجْمَعُنَا دِينٌ وَيُسْعِدُنَا
عَيْدٌ وَنَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ مَشْهُودُ

لَمْ يَبْقَ فِيهِ حَزْنٌ فِي مُلَمَّتِهِ
وَلَا تَشْتَّتْ فِي الْبُلْدَانِ مَنُكُودُ



مَا الْعَيْدُ إِلَّا إِذَا قَامَتْ دَعَائِمُنَا
وَفَوْقَهَا عِلْمٌ لِلدِّينِ مَعْقُودُ
مَا الْعَيْدُ إِلَّا لِحُرِّ لَمْ يَهْنُ أَبَدًا
وَلَا بَدَا وَهَوٍ فِي الْأَغْلَالِ مَضْفُودُ
أَيَّامُ هَارُونَ تَدْعُونِي فَأَنْدُبُهَا
وَأَشْتَكِي كَيْفَ أَنَّ الْوَصْلَ مَحْدُودُ
حَدَائِقُ الشَّامِ وَالْفُسْطَاطِ أَغْنِيَّةُ
وَأَرْضُ أَنْدَلُسٍ ذِكْرِي وَتَمَجِيدُ

١٩٤٤

★ ★ ★



حيفا
من النساء على الغزبي في عكا



حيفا من السرايا العزبي في عكا

حَيْفَا! فَدَيْتُكَ مَا أَهَى مَغَانِيكَ
وَكَمْ يَطِيبُ الْهَوَى فِي ظِلِّ نَادِيكَ

مَا الْحُسْنُ إِلَّا كِتَابٌ أَنْتَ أَسْطَرُّهُ
أَوْ أَنَّهُ قُبْلَةٌ قَرَّتْ عَلَى فَيْكِ

مَا أَنْتِ إِلَّا عَرُوسُ الْبَحْرِ مِنْ قَدَمِ
عَلَوْتَ كِبَرًا فَمَالَ الْبَحْرُ يُغْرِيكَ

لَمْ يَهْوَ غَيْرُكَ مِنْ شَتَّى عَرَائِسِهِ
فَخَفَّ نَحْوُكَ فِي هَمْسٍ يُنَاجِيكَ

سَعَتْ عَرَائِسُهُ تُهْدِي تَهَانِيهَا
وَمَا عَرَائِسُهُ إِلَّا جَوَارِيكَ

هَلَا رَضِيتِ! فَكَمْ أَلْقَى جَوَاهِرَهُ
عَلَيْكَ لَيْلًا وَكَمْ شَعَتْ لَأَلِيكَ

حَبَاكَ مِنْ قَلْبِهِ حَبَاتِهِ كَرَمًا
وَلَمْ يَنْلُ غَيْرَ لَثَمٍ مِنْ أَيْادِكَ

تُبْدِيهَا فِي الدُّجَى وَاللَّيْلُ لَيْلُ هَوَى
لَيْسَتْ لَيْلِي الْهَوَى إِلَّا لَيْلِيكَ

وَبِتْ حَالَةً! إِنَّ الْهَوَى حُلْمٌ
وَقُمْتَ نَاطِقَةً رَقَّتْ مَعَانِيكَ

١٩٤٦

★ ★ ★

الرَّبيعُ في عَمَلَا

رَقَّ الْهَوَى وَسَعَى إِلَيْكَ بِمَنْظَرٍ
عَجَبٍ، فَقَدْ وَرَدَ الرَّبِيعُ وَلَا حَا

وَزَكَتْ خَمَائِلُهُ وَفَوَّحَ عُودُهُ
وَعَدَا عَلَى هَذِي الرَّبُوعِ وَرَاحَا

فَانْظُرْ لَزَهْرٍ قَدْ تَمَائَلَ عِطْفُهُ
بَيْنَ النَّسِيمِ وَطَائِرٍ قَدْ صَا حَا

الطَّيْرُ فَوْقَ غُصُونِهِ صَدَا حَا
وَالرَّيْحُ أَوْدَ عِطْفُهُ وَأَبَا حَا

حَتَّى إِذَا ثَمَلَ النَّسِيمُ فَلَمْ يَعُدْ
مُتَكَتِّمًا بِهَوَى الزُّهُورِ فَبَا حَا

وَيَقِيمُ عَهْدَ الْوُدِّ طِيلَةَ لَيْلِهِ
وَيَحُولُ عَنْ عَهْدِ الْوِدَادِ صَبَاحًا

هَذِي الدُّمُوعُ تَرَفَّرَتْ بِجُفُونِهَا
لَمَّا تَحَوَّلَ عَنْ هَوَاهُ وَفَاحًا

مَا زَالَ يَخْدَعُهَا النَّسِيمُ بِحُبِّهِ
وَيَذِيقُهَا الْأَحْزَانَ وَالْأَفْرَاحًا

فَاحْمَرَّ مَا صَبَغَ الْحَيَاءُ جَبِينَهُ
وَأَزْرَقَ مَا لَطَمَ الْخُذُودَ وَنَاحًا

وَأَصْفَرَ مَا كَتَمَ الْهَوَى بِفُؤَادِهِ
وَجَدَّأَ وَمَالَ عَلَى الثَّرَى أَشْبَاحًا

١٩٤٥

★ ★ ★

إستشهد القائد عبد القادر الحسيني في ٨ نيسان ١٩٤٨ في
معركة القسطل بعد أن عاد من دمشق دون أن تمده اللجنة
العسكرية بالسلاح اللازم لتلك المعركة. خاضها بما لديه من
رجال وسلاح واستشهد.

الشهيد عبد القادر الحسيني

في القسطل

عَادَ الْهَزَنُ مَا لِلْقَلْبِ يَضْطَرُّ
وَلِلْعُيُونِ وَهَذَا الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ

جَاءَ الْبَشِيرُ إِلَيْنَا وَالنُّعْيُ مَعَا
كَلَامُهُمَا خَفَقَتْ فَالْنَصْرُ وَالْحَرْبُ

لَمْ يَقْبَلِ الْقَلْبُ غَيْرَ الْبَشْرِ مِنْ خَيْرٍ
وَلَمْ يَرِ النَّعْيُ إِلَّا وَهُوَ يَقْتَرِبُ

قَالُوا: الرِّصَاصُ يُحْيِي بَشَرَ عَوْدَتِهِ
وَهَذِهِ الْقُدْسُ خَفَتْ نَحْوَهُ تَثْبُ



عَلَى الْأَكْفِ مُسَجَّى فِي مَهَابِنِهِ
وَحَوْلَهُ ثُلَّةٌ أَوْ فِتْيَةٌ نُجُبٌ

لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ هَلْ حَيَّ يَقُودُهُمْ
إِلَى الْمَعَارِكِ؟ أَمْ مَوْتُ وَغَتَرَبُ

لَمْ يَلْمَسُوا فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ بَطْلٌ
حَيٌّ يَقُودُ وَلَا يُثْنَى لَهُ أَرْبُ

فَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَنْ قَالَ قَائِلُهُمْ :
مَوَاكِبُ النُّصْرِ فِيهَا الْمَنْظَرُ الْعَجَبُ

لَا يَبْلُغُ الْفِكْرُ مَا جَاَزَ الْمَاءُ بِهِ
وَلَا يَرَاهُ خَيَالٌ وَهُوَ يَحْتَجِبُ

★ ★ ★

وَنَحْيِ! أَهَذَا جِدَارٌ كَيْفَ يَنْزِلُهُ
ضَيْقاً وَكَأَنَ يَضِيقُ الْمَنْزِلُ الرَّحْبُ

كَأَنَّمَا بَاتَ يَرْمِي مِنْ مَرَاقِدِهِ
عَلَى الْعَدَى فَاتَاهُ الْبِشْرُ وَالْغَلْبُ

أَمْسِ الَّذِي مَاتَ قَدْ أَحْيَيْتَهُ أَبَدًا
نُورًا يُضِي وَأَعْجَادًا لَهَا نَسَبُ

★ ★ ★



قَدْ كُنْتَ فِي «الشَّامِ» لَا تُلْهِيكَ بَانتُهَا
عَنْ هِمَّةٍ وَرَعَاكَ النُّجْمُ يَرْتَقِبُ

سَأَلْتَهُمْ مَدْفَعًا يَا لَيْتَهُمْ دَفَعُوا
عَنْكَ الرَّدَى وَأَجَابُوا غَيْرَ مَا طَلَبُوا

لَا يَبْذُلُونَ عَنِ التَّقْصِيرِ مَعِذَةً
وَلَا يَقُومُ عَلَى تَسْوِغِهِمْ سَبَبُ

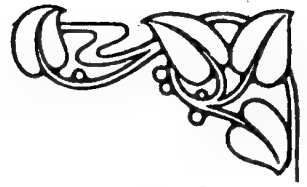
فَمَا هُمْ غَيْرَ آلَاتٍ تُحَرِّكُهَا
سِيَاسَةٌ كَيْفَ مَا مَالُوا أَوْ انْقَلَبُوا

كَذَاكَ عُدْتَ سَرِيعًا لَا تُبَادِلُهُمْ
سُوءًا بِسُوءٍ وَلَمْ تَغْضَبْ كَمَا غَضِبُوا

لَكِنَّهَا عِزَّةٌ لَيْسَتْ عَلَى حَقِّ
حُمْلَتِهَا وَكَذَاكَ الْفِتْيَةُ النُّجُبُ

حَلَفْتَ بِاللَّهِ أَنْ تَغْدُو بِكُوكَبَةٍ
فِي رُبُوعِ الْقَسْطَلِ الْهُجَاءِ تُحْتَطَبُ

تَرَكْتَ «مُوتَزَا» تُدَاوِي النَّارَ أَنْتَهَا
وَبَاتَ يُشْرِقُ فِي الْكَسَّارَةِ اللَّهَبُ



بَعَثَتْ مِنْ «كَامِلٍ» سَهْمَ الْقَضَاءِ لَهُمْ
وَذَا «أَبُو دِيَّةٍ» فِي سَاحِهِ يَثْبُ

كِلَاهُمَا أَمَلٌ فِي الْحَرْبِ ذُو ثِقَةٍ
وَمِنْ مَوَالِيدِهَا يُذْنِيهِمَا النَّسَبُ

وَحُضَّتْ شَرْقِيَّهَا تَرْمِي بَوَارِجَهُمْ
بِفَتْيَةٍ نُجْبٍ! لَا جَحْفَلُ لَجِبُ

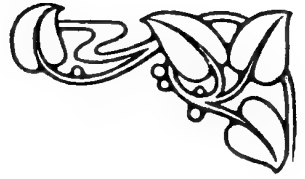
خَمْسُ وَعِشْرُونَ لَمْ تُنْجِذْ مَطِئَتَهُمْ
مَدَافِعُ وَسَوَاهُمْ مَعْقِلُ أَشْبُ

وَاللَّيْلُ حَوْلَكَ جِيَّاشٌ تَخُوضُ بِهِ
كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهِ جَحْفَلُ عَجَبُ

دَخَلْتَ حَامِيَةً فِيهَا فَمَا عَرَفُوا
غَيْرَ الرِّصَاصِ طَعَاماً مِنْكَ أَوْ شَرِبُوا

لَمْ يَبْقَ عِنْدَكَ مَذْخُورٌ فَتَقَذِفُهُ
إِلَّا فَتَى صَابِرٌ لِّلَّهِ مُحْتَسِبُ

وَأَنهَالَتْ النَّارُ فَاسْتَقْبَلَتْ حَرَّتَهَا
وَأَنْتَ فِي الْقَسْطَلِ الْحَمْرَاءِ تَحْتَطِبُ



حَتَّى قَضَيْتَ وَفِي جَنْبِكَ أَوْسَمَةٌ
حَمْرَاءُ لَا مَاسَةَ فِيهَا وَلَا ذَهَبُ

فَخَرُّ! فَمَا جَادَ فِي تَعْلِيْقِهَا أَحَدٌ
يَلْهُو وَلَا هِيَ نِشَانُ وَلَا لَقَبُ
١٩٤٨

★ ★ ★



بعد الزوج وآمال العودة بدأت تذوي والحسرة تشتد .

وطن يضيع

وَطَنِي ذَكَرْتُكَ وَالْقَنَا طَعَانَةً
وَجَمِيلُ سَاحِكٍ بِالدِّمَاءِ مُخَضَّبُ

فَإِذَا شَكُوتَ تَهَبُّ دُونَكَ عُصْبَةً
وَإِذَا رَغِبْتَ فَفِي عَلَائِكَ نَزْغَبُ

عِشْرُونَ عَامًا أَوْ تَزِيدُ قَضَيْتَهَا
وَالنَّارُ تَخْطَفُ وَالدِّمَاءُ تَسْرَبُ

وَأَبَى شَبَابُكَ أَنْ تَلِينَ قَنَاتِهِمْ
فَغَدَوْا لُيُوثًا فِي الْحِمَى تَتَوَثَّبُ

وَسَقَوْكَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ حَيَاتِهِمْ
لَمَّا ظَمِئْتَ وَقَدْ يَعِزُّ الْمَشْرَبُ



وَسَعَوْا إِلَيْكَ عَلَى الْأَكْفِ مِنَ النُّدَى
مُهْجُ الْكُفَاةِ وَأَنْفُسُ لَكَ تَوَهَّبُ

وَتَبُّوا عَلَى دُفْمٍ فَشَقَّ ظِلَامُهَا
وَمَضُتْ الْعَزِيمَةُ وَالْبَرِيقُ الْمَلْهَبُ

وَمَدَافِعُ كَمْ وَلَوْلَتْ أَنْغَامُهَا
فَيَجِيئُهَا نَعَمٌ أَشَدُّ وَأَعَذْبُ

وَمِنَ الْحَسَنِ الْغَضَنْفَرِ ضَرْبَةٌ
حَمْرَاءُ تَعْمَلُ فِي الظُّهُورِ وَتَنْشُبُ

سَوَى بُرُوجِهِمْ وَمُنْبَسِطِ الثَّرَى
وَبَنَى الْقُبُورَ فَهَلْ يَحْنُ وَيَغْضَبُ

لَكِنَّهُ قَدَرٌ خَضَعَتْ لِأَمْرِهِ
فَحَلَلَتْ فِي الْأَقْصَى يَحْنُ وَتَحْدُبُ

وَأَخْوَكُ^(١) جَرُّوا خَلْفَهُ أَشْلَاءُهُمْ
فَكَأَنَّهُمْ وَرَقٌ يَسِيرُ فَيُشْدَبُ

لَمَّا تَرَكْتَ أَخَاكَ حَرَكُهُ الْهَوَى
فَسَلَاةٌ عَنْكَ هَوَى أَرْقُ وَأَقْرَبُ

(١) الشيخ حسن سلامة.



وَأَتَى قَضَاءُ اللَّهِ بِحُكْمٍ فَيْكُمَا
وَدَعَاكُمَا وَطَنُ يَثْنُ وَيُنْدُبُ

كَيْمَا تَدُومَا فِي هَوَاهُ لِأَنَّهُ
عَرَفَ الْأَحِبَّةَ جُلُوهُمْ فَتَذْبَذَبُوا

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَقُلْتُ تِلْكَ جَرِيمَةٌ
وَإِذَا يَثْنُتُ أَقُولُ : هَذَا الْمَذْنِبُ

لَكِنْ بَقِيَّةُ مَأْمَلٍ وَتَعَلُّلٍ
قَطَعْتُ جَهِيْرِي مَا أَلُومُ وَأَشْجُبُ

فَكَأَنَّمَا ضَوْءٌ يَكَادُ يُذِيْبُهُ
نَوُّ الظُّلَامِ وَحُلُكَةُ تَتَسَعَّبُ

★ ★ ★

وَطَنِي ذَكَرْتُكَ وَالْمَصَائِبُ كَثُرَتْ
عَنْ نَابِهَا وَأَحْمَرُ مِنْهَا الْمِخْلَبُ

وَوَقَعْتَ تَذْمِي فِي عِرَاكِكَ بَعْدَ مَا
ذَهَبَ النُّصِيرُ وَسَاءَكَ الْمُتَقَلَّبُ

فَصَرَخْتَ مَكْلُومًا أَمَا مِنْ مُنْجِدٍ
يَخْنُو عَلَيَّ وَمُسْعِفٍ لَا يَرْهَبُ



فَهِيَ الْجَحَافِلُ أَطْبَقَتْ! لَا نَارَهَا
نَارًا وَلَا فِتْيَانَهَا تَتَسَرَّبُ

وَأَتَاكَ يُنْقِذُ مَنْ رَجَوْتَ حَنَانَهُ
فَإِذَا بِهِ قَاسٍ عَلَيْكَ مُجَرَّبُ

أَيْنَ الْحِمِيَّةُ إِذْ رَأَى مُمَزَّقًا
إِرْبًا وَعِرْضُكَ مُسْتَبَاحٌ يُثْلَبُ

أَيْنَ الْكَتَائِبُ أَقْبَلَتْ وَنِدَاؤُهَا
اللَّهُ أَكْبَرُ وَالرَّدَى يَرْقُبُ

وَمَضَوْا لِإِخْدَى الْحُسْنَيْنِ يَشُدُّهُمْ
شَوْقٌ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَيَجْدِبُ

فَإِذَا هُمْ، وَالنَّصْرُ لَاحَ بِشَائِرًا
تَهْفَوُ وَصَفَقَ مَشْرِقٌ أَوْ مَغْرِبُ

شَدَّ الطَّعَانَ عَلَيْهِمْ فِي ظَهْرِهِمْ
رَحِمٌ وَمَزَقَهُمْ قَرِيبٌ أَكْذَبُ

وَيَسْوِقُهُمْ لِلْسَّجْنِ! إِلَّا أَنَّهُمْ
سَيْفٌ يَرْقُقُ نَضْلُهُ وَمُجَرَّبُ



وَإِذَا شُمُوعُ اللَّيْلِ تَذْوِي وَالْمَنَى
تَضْوِي وَأَحْلَامُ هُنَالِكَ تَذْهَبُ

١٩٤٨



سقوط الصفير

في ١٣ ايار ١٩٤٨

دَمْعَةٌ حَرَّقَتْ مِنْ الْأَجْفَانِ
وَذَفِيرٌ تَبَّثُهُ الشَّفَتَانِ

وَفُؤَادٌ يَثُورُ كَالْبُرْكَانِ
وَنِدَاءٌ يَضِجُ فِي الْأَذَانِ
صَفْدًا! حَدَّثِي بَغِيرِ لِسَانِ

★ ★ ★

كَيْفَ تَهْوِي مَعَايِلُ الْأَبْطَالِ
وَتَمُوتُ الرِّجَالُ دُونَ قِتَالِ

لَا ضَحَايَا هَوَتْ عَلَى الْأَطْلَالِ
أَوْ دِمَاءٌ زَكِيَّةٌ فِي الْجِبَالِ
فَجَرَتْ نَبْعَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ

★ ★ ★

بَلْ شَرِيدٌ لَمْ يَغْتَصِمْ بَيْنَانِهِ
مُرْغَمٌ لِلنُّزُوحِ عَنْ أَرْجَائِهِ



خَلَفَ الدَّمْعَ جَارِيًا فِي فَنَائِهِ
جَرْدُوهُ وَأَخْرَسُوا مِنْ
نِدَائِهِ سَحْبُوهُ مِنْ غَمْرَةِ الْمِيدَانِ

★ ★ ★

اتْرُكُوهُ تَرَوْا بَلَاءً أَكِيدًا
وَرَدَّى يَخْطَفُ النُّفُوسَ مُبِيدًا

فَتِيَّةٌ أَغْضِبُوا فَكَانُوا أَسُودًا
أُهِبُوا فَأَنْبَرُوا رَدَّى
إِنْ قَضُوا خَلَدُوا هَوَى الْأَوْطَانِ

★ ★ ★

أَنْزُوحُ! يَا وَنَحْهُمُ أَنْزُوحُ
وَرَضِيعُ عَلَى الْأَكْفِ يَنْزُوحُ

يَتَنَغِي قَطْرَةٌ وَذَاكَ جَرِيحُ
وَعَجُوزُ مُرَوِّعُ وَطَرِيحُ
بَيْنَ وَادٍ وَهَضْبَةٍ أَوْ جِنَانِ

★ ★ ★

ذِكْرِيَاتُ وَرَاءَهُمْ كَيْفَ تُمَحَّى؟
وَهِيَ تُدْمِي الْجِرَاحَ جَرْحًا فَجَرْحًا



وَعَذَابٌ يَنْزُ فِي الْقَلْبِ قَرْحًا
كَيْفَ أَلْقَى عَلَى رُئُوعِكَ صَفْحًا
أَنْ طَوَّنَا الْقَنَا وَحَمَرَ السَّنَانِ

★ ★ ★

مُضَحَفٌ مَزَّقْتُهُ أَيْدِي الْبُغَاةِ
وَأَهَانُوا مَرَابِعَ الْمَكْرُمَاتِ

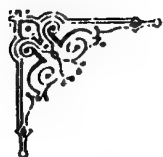
وَرَضِيعٌ يُنَاشُ بَيْنَ الْكُمَاةِ
وَأَسْتَهَانُوا بِعِزَّةِ الْفَتَيَاتِ
أَيُّ هَوْنٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْهَوَانِ

كُلُّ هَذَا مُؤَامَرَاتُ تُحَاكٍ
وَحِدَاعٍ وَغَفْلَةٍ وَعِرَاكٍ

وَكِرَاسٍ تَزَاحَتِ وَشِرَاكٍ
نَصَبُوهَا وَهَذِهِ أَشْوَاكٍ
ثُمَّ قَالُوا سِيرُوا بِكُلِّ أَمَانٍ

★ ★ ★

لَمْ يَطْفُ فِي الْفُؤَادِ غَيْرُ خَيَالٍ
لِمَثَالٍ مِنَ التُّقَى وَالْجَلَالِ



وَجِهَادٍ لَمْ يَتَّصِفْ بِكَالَالِ
إِنَّهُ سَيِّدُ الْبِلَادِ الْغَالِي
وَأَمِينٌ مُسْتَعَصِمٌ بِأَمَانِ

★ ★ ★

هَذِهِ بَلَدِي يَضِجُ نِدَاهَا
صَرْخَةُ رُدَّدَتْ وَهَذِي صَدَاهَا

وَفِلَسْطِينُ رُوِّعَتْ مِنْ رَدَاهَا
كُلُّنَا! كُلُّنَا! فِدَاهَا فِدَاهَا
اخْرُسُوا لَنْ يُفِيدَ رَجْعُ الْحَنَانِ

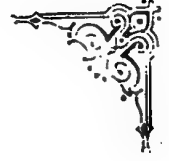
★ ★ ★

أَفِلَسْطِينُ! هَلْ جَفَاكَ بَنُوكِ
حَمَلًا لِلذَّنَابِ هَلْ تَرَكَوكِ

فِي غَمَارِ الْجِهَادِ هَلْ خَذَلُوكِ
حَدَّثِي إِنَّمَا أَوْلِيكَ فُوكِ
نَاطِقُ فِي رَبِّي وَفِي وَدْيَانِ

★ ★ ★

مِنْ شَبَابٍ كَالنَّارِ حِينَ تَمُدُّ
وَأَقْتِحَامِ الطُّوفَانِ حِينَ يَشُدُّ



قَدْ أَبَوْا ذِلَّةً فَتَارُوا وَجَدُوا
وَسَقَوْا تُرْبَهَا فَذَلِكَ مَجْدُ
ثَابِتٍ فَوْقَ مَصْرَعِ الشُّبَّانِ

١٥ أيار ١٩٤٨



جرمان



أرسل صديق لي من الأردن رسالة سنة ١٩٤٩م بعد انقطاع
طويل، فأجبتُه بأبيات من الشعر، زدت عليها أبياتا أخرى سنة
١٩٦٤.

جرمان

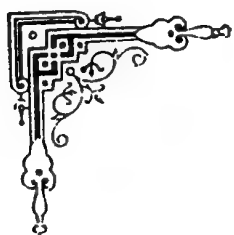
يَا طَائِرَ الْأُرْدُنِّ حَرَكُهُ
شَجْوُ فَاسْمَعَ صَوْتَهُ بَرَدَى

يَا طَيْرُ قَصِّ جَنَاحُهُ زَمَنُ
كَمْ قَصِّ أَجْنِحَةٍ وَشَلَّ يَدَا

لَا تَحْسَبَنَّ مَوَارِدِي عَذَبْتُ
أَسْعَى لَدَى لَذَائِهَا رَغَدَا

فَدِمَشْقُ جَنَاتُ تَرْفُ بِهَا
حُورُ تَمِيسَ وَمَاؤُهَا بَرَدَا

طَابَتْ لِمَنْ يَسْعَى لَطِيبُهَا
وَقَسَتْ إِذَا مَا هُمُ انْعَقَدَا



لَا مَأْوَاهَا يُطْفِي لَنَا ظَمًا
أَوْ حَبَّهَا يَجْرِي رِضًى وَنَدَى

يُذَكِّي الْحَنِينُ إِلَى الطُّلُولِ أَسَى
عَصَرَ الضُّلُوعِ وَمَزَّقَ الْكَبِدَا

جُرْحَانِ : نَحْمِلُ مِنْ تَزْيِفِهِمَا
أَلْمَا يُجْدُّ أَلرُّوحَ وَالْجَسَدَا

جُرْحَانِ : يَعْتَصِرُ الْأَسَى بِهِمَا
عُمَرَ الْفَتَى وَالشَّيْخَ وَالْوَلَدَا

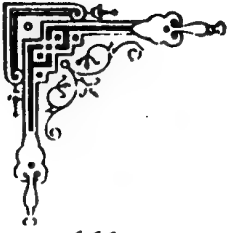
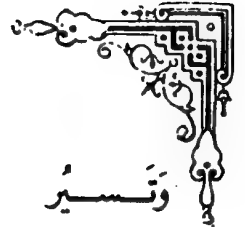
جُرْحَانِ : جُرْحُ غَارٍ فِي جَسَدِ
رَوَتْ دِمَاهُ مَرَاقِدَ الشُّهَدَا

وَكَذَلِكَ جُرْحُ غَارٍ فِي شَرَفِ
وَيْدِ النُّزُوحِ تَدُورُ فِيهِ مَدَى

★ ★ ★

عَجَبًا! أَيْغَدُرُ صَاحِبُ بَاخٍ
وَيَسُوقُهُ لِمَهَالِكِ وَرَدَى

وَيَشُدُّ عَبْرَ الْحُدُودِ أَخُ
الصُّدُرِ رَحْبُ وَالْيَدَانِ نَدَى



وَتَسِيرُ قَافِلَةٌ النُّزُوحَ رُؤْيُ
مَوْصُولَةٌ فَتَقَطَّعَتْ بَدَا

الطُّفْلُ وَدَّعَ مِنْ مَلَاعِبِهِ
ظِلًّا وَهَاجَ حَنَانُهُ وَدَا

يُلْقِي بِأَنْظَارٍ مُمَرَّقَةٍ
لَمْ يَذَرِ مَا أَبْقَى وَمَا فَقَدَا

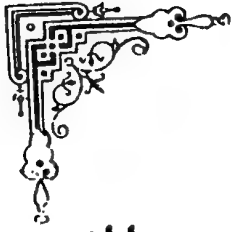
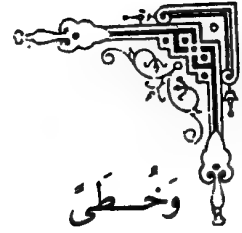
تَحْنُو الْأُمُومَةُ وَهِيَ ذَابِلَةٌ
شَدَّتْ لِذَيْبِهَا هَوًى وَدَا

يَتَلَمَّسُ الْمَسْكِينُ قَطَرَتَهَا
جُوعًا! فَتَغْصِرُ مِنْ أَسَى كَبَدَا

تَغْذُوهُ مِنْ أَمَلٍ يُجَالِطُهَا
وَهَوًى وَتُرْقُبُ فِي الْعُيُونِ غَدَا

الشَّيْخُ مَرٌّ عَلَى مَدَامِعِهِ
بِيدٍ وَأَقْلَتْ لِلزَّمَانِ يَدَا

ثَقُلَ السَّنِينَ يَشُدُّ كَاهِلَهُ
وَهَنًا، وَتَذْفَعُهُ الْمَنَى صُعْدَا



وَحُطِّىْ تَدْبُ مَضَتْ مُوزَّعَةً
لِتَشُقَّ مِنْ أَحْلَامِهَا جُدَا

يَطْوِي الشَّبَابَ ضُلُوعُهُمْ أَسْفَا
أَنْ لَمْ يَكُونُوا دُونَ ذَاكَ فِدَا

أَلْقَى السَّلَاحَ وَفِي جَوَارِحِهِ
أَمَلُ! سَارَجُ لِلْجِهَادِ غَدَا

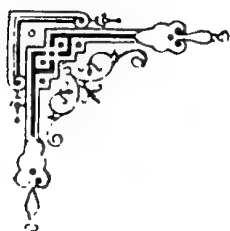
هَذِي أُخُوَّةُ أَحْمَدَ سَبَقَتْ
عَهْدًا لَتُطْلَقَ دُونَنَا الْمَدَا

مَا كُنْتُ أَتْرُكُ مِذْفَعِي وَدَمِي
يَجْرِي وَزَغَزَعَةُ الْجِلَادِ نِدَا

وَالرَّايَةُ الْحَمْرَاءُ خَافِقَةٌ
نَصْرًا تَضُمُّ مَوَاكِبَ الشُّهَدَا

فَمَضَى! وَتَلْتَفَتُ الدِّمَاءُ شَجَى
وَتُطَلُّ فِي الصُّبْحِ الْبَلِيلِ نَدَى

أَطْيَافُ قَافِلَةٍ مُزَقَّةٍ
غَابَتْ تَشُقُّ مَسَالِكًا وَمَدَى



الْأَفْقُ يَطْوِي مِنْ مَعَالِهَا
ذَكَرَى وَتَرَجُّعُهَا إِلَيْكَ صَدَى

★ ★ ★

يَا خَيْمَةً مَفْجُوعَةً طُعِنْتَ
تَطْوِي الْأَيْنِ وَتُفَرِّدُ السَّهْدَا

نَزَّ النَّجِيعُ عَلَى جَوَانِبِهَا
وَالنَّضْلُ غَارَ وَمَزَّقَ الْجَسَدَا

تَمْضِي السَّنُونُ تَهْزُ مِنْ طُنْبٍ
وَالشُّوقُ هَاجَ وَزَعَزَعَ الْوَتَدَا

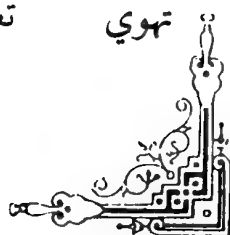
يَا أُمَّةً طُعِنْتَ بِعِزَّتِهَا
فَهَوَتْ تَلَمَّسُ فِي الثَّرَى سَنَدَا

تَهْوِي وَتَهْوِي مِنْ شَوَاحِجِهَا
قُلِّلَ وَيَذْرُوهَا النَّوَى بَدَا

تَهْوِي تَعْفَرُ فِي مَذَلَّتِهَا
وَالرَّيْحُ تُعُولُ وَالطُّلُولُ صَدَى

١٩٦٤

★ ★ ★



فلسطين في ظلال القرآن

أَيُّ فَجْرِ عَلَى الرُّبَى بَعَثَ النُّو
رَ وَالْقَى نَسَائِمًا وَرَوَاءَ

أَيُّ مَاءٍ عَلَى الرُّبَى سَكَبَتْهُ
نَبْعَاتُ أَحْيَتْ مُنَى وَرَجَاءَ

أَيُّ رُوحٍ خَفَّاقَةٍ مِنْ رُبَى الْجَزْ
مِ أَهْدَتْ لِقَاسِيُونَ الْوَفَاءَ

إِنَّهُ مِنْ شُعَاعِ جَرْحِكَ أَنْوَارَ وَفَجْ
رٍ مِنْ الْجِرَاحِ أَضَاءَ

إِنَّمَا يَا شَهِيدُ أَنْفَاسُكَ الرِّدْ
يَا وَخَفُّ الْجِرَاحِ كَانَتْ نِدَاءَ

مَا رَأَيْنَا عَلَى مُحْيَاكَ إِلَّا
قَبَسَ الْمَجْدِ مُلْهَمًا وَضَاءً

أَمَمَاتُ يُعْطِي الْحَيَاةَ وَفَقْدُ
مَنْحِ الْخُلْدِ! مَا أَجَلُ الْعَطَاءِ

مَا تَقُومُ الْحَيَاةُ إِلَّا لِتَنْلُو
آيَةً أَوْ بَطُولَةً شَاءَ

كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ يَقْبَسُ مِنْ نُورِ
رِكَ نُورًا وَمِنْ سَنَاكَ سَنَاءَ

هَكَذَا تَمْنَحُ الْعَقِيدَةَ مَنْ مَا
تَ : حَيَاةً وَجَنَّةً وَرِضَاءَ

هَكَذَا أُمَّةٌ تُرِيدُ حَيَاةً
فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ تُعْلِي الْبِنَاءَ

★ ★ ★

كَمْ دَفَعْتَ الْخُطَى يُسَابِقُهَا الْعَدَا
زَمٌ وَتَمْضِي إِلَى الْجِهَادِ مَضَاءَ

لَفْكَ اللَّيْلُ، وَالْأَمَانِيُّ تَحْدُو
كَ، وَأَمَّا لَكَ الْكِبَارُ تَرَاءَى

وَعَلَى جَانِبَيْكَ إِخْوَانُكَ الْغُرُ
رُ تَنَادَوْا هَا فَلَبَّوْا نِدَاءَ

وَسِلَاحُ يَشُقُّ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ
لِ دُرُوبًا مَمْدُودَةً حَمْرَاءَ

وَمَضَى...! وَالْقُلُوبُ تَهْفُو لِلْقَبَا
كِ، فَلَسْطِينُ! مَا أَعَزَّ اللَّقَاءَ

هَلَكَ الشَّوْقُ نَفْسَهُ فَتَرَاهَا
فَجَرَتْ شَوْقَهُ عَلَيْهَا دِمَاءَ

لَمْ يُطِقْ أَنْ يَعُودَ بَعْدَ لِقَاءِ
دِينَنَا عَلَّمَ الرَّجَالَ الْوَفَاءَ

فَانْحَنَى! ثَغْرُهُ يُقَبِّلُ تُرْبًا
وَعَلَتْ رُوحَهُ تَضُمُّ السَّيِّئَاءَ

يَا شَهِيداً تَضُمُّهُ * * * مُهْجَاتُ
وَحْنَانٍ يُلْقِي عَلَيْكَ الرَّدَاءَ

أَيُّ غَضَنِ يُطِلُّ فَوْقَكَ مَيِّمُو
نَا وَتُرْخِي ظِلَالَهُ إِرْخَاءَ

هَمَسَاتُ لَهُ تَدِيرُ حَكَايَا
تِ وَتُحْيِي مِنْ ذِكْرِهِ أَحْيَاءُ

رَفَرَقَاتُ الطُّيُورِ تَنْقُلُ عَنْهُ
نَفَحَاتِ تُلَقِّنُ الْأَبْنَاءُ

رَفَرَقَاتُ النَّسِيمِ تَغْفُو عَلَى قَبْ
رِكَ وَلَهَى وَتَنْشُرُ الْأَنْدَاءُ

حَمَلَتْ مِنْ رُؤْيَى فَلَسْطِينِ آمَا
لَا فَكَانَتْ مِنَ اللَّحُودِ نِذَاءُ

وَسَرَتْ فِي دُنَا الْعُرُوبَةِ نُحْيِي
هَهَا فَكَانَتْ عَوَاصِفًا هَوَجَاءُ

إِيهِ يَا قَبْرًا كَمْ وَقَفْنَا عَلَيْهِ
أَعْيُنًا وَدَّعَتْ بِكَ الرُّفَقَاءُ

غَيْرَ أَنِّي وَقَدْ ضَمَمْتُ شَهِيدًا
لَا أَرُدُّ الدِّمَاءَ فِيكَ بُكَاءُ

لَسْتُ مِنْ يَنْدُبُ الشَّهِيدَ وَلَكِنْ
هُوَ حَقٌّ أَنْ نَنْدُبَ الْأَحْيَاءُ

★ ★ ★



يَا فِلَسْطِينَ وَالرُّسَى حَانِيَاتٍ
وَنَنَايَاكَ خَافِقَاتٍ رَجَاءٍ

مُهْجٍ فِي ظِلَالٍ وَادِيكَ أَرْجَعُ
بِتِ هَوَاهَا وَخَفَقَهَا أَصْدَاءُ

وَسُفُوحٍ يَلْفُهَا الْأَمَلُ الْحَدُ
وَقُتِمْتُ فِي الزَّمَانِ رِضَاءُ

كَمْ دَرَجْنَا عَلَى رُبُوعِكَ نَلْقَى
ظِلَّهَا أَوْ مُرُوجَهَا الْخَضْرَاءُ

كَمْ زَرَعْنَا بِأَرْضِهَا غَرَسَاتٍ
وَسَقَيْنَاكَ بِالْدِّمَا كُرْمَاءُ

أَيْنَ «كُنْعَانُ» مُلْتَقَى الْأَفْقِ الْوَا
سِعِ وَالْجَدُّ فِي ذُرَاهُ أَفَاءُ

أَيْنَ يَا مَرْتَعَ الصَّبَا دَرَجَتْ فِيهِ
طُفُولَاتُنَا عَلَاءُ وَإِبَاءُ

وَنَشَرْنَا مِنَ الشَّبَابِ جَنَاحِيَّ
نِ عَلَيْهِ فَرَفَرْنَا أُنْدَاءُ

وَنَزَّلْنَا عَلَى «الطَّوَاحِينِ»^(١) نَجْنِي
ثَمَرَاتٍ وَنَضَعُدُ^(٢) «الْحَمَرَاءَ»

صَفْدُ مُهَجَّةِ الْحَيَاةِ، عَرُوسُ
تَتَجَلَّى جَوَاهِرًا وَسَنَاءُ

أَيْنَ مِنِّي ذُرَاكَ يَا جَبَلَ الْكَرِّ
مِلْ قَامَتْ تَسْتَنْهَضُ الْأَبْنَاءَ

وِظْلَالُ مِنَ الصَّنَوْبَرِ أَلْقَتْ
فِي رِيَاهُ غِلَالَةَ سَمَرَاءَ

أَيْنَ يَافَا يَضُمُّهَا شَاطِئُ الْبَحْرِ
رِ حَنَانًا وَرِقَّةً وَغَنَاءَ

كُلَّمَا ضَمَّهَا الدَّجَى وَهَبَتْهُ
مِنْ حُلَاهَا نُجُومُهُ الزُّهْرَاءَ

إِيهِ يَا قُدْسُ! مَهْبِطُ الْوَحْيِ! هُبِّي
نَفَحَاتٍ وَأَشْرِقِي أَضْوَاءَ

وَالنُّبُوءَاتُ فِي رِحَابِكَ تَسْعَى
وَهِيَ تَتْلُو آيَاتِهَا الْعِصْمَاءَ

(١)، (٢) الطواحين والحمرء مكانان مشهوران بجمال المناظر الطبيعية، يرتادهما الناس للترفيه.

وَالنَّبِيُّ الْعَظِيمُ يَعْرِجُ مِنْهَا
قَبْسًا يَمْلَأُ الزَّمَانَ ضِيَاءً

أَيْنَ يَا غَزَّةَ الْجِهَادِ أَطْلَى
أَيْنَ أَلْقَى الْخَلِيلَ أَوْ عَكَاءَ

لَسْتُ أَبْكِي تَرَابَهَا وَمُرُوجَهَا
نَضَبَتْ أَوْ حِجَارَةً صَمَاءَ

إِنَّمَا أُنْدُبُ الْعَقِيدَةَ تَذْوِي
فِي نَفُوسٍ تَعِيسَةٍ وَالْإِبَاءَ

مَا هَجَرْنَا دِيَارَنَا غَيْرَ أَنَّا
قَدْ هَجَرْنَا الْعَقِيدَةَ السَّمْحَاءَ

لَفَظْتُنَا الدِّيَارُ إِذْ ذَاكَ لَفْظًا
وَأَحَالَتْ كِرَامَنَا غُرَبَاءَ

قُلُّ، أُمْسُ! مَا عَهْدُنَاكَ إِلَّا
شَاخِحَاتٍ تُعَانِقُ الْجُوزَاءَ

مَا دَهَاهَا فَرَدَّتْ الطَّرْفَ عَنَّا
وَتَوَارَتْ عَنِ الْعُيُونِ حَيَاءَ

وَبَنُوها

تَقَاذَفْتُهُمْ
وَرِيَّاحَ
وَزَجَجَرَتْ
بَطَاحَ

أَنْوَاءَ

وَأَيَادِ

تَمُدُّهُمْ
وَالْوِكَالَاتُ
بِكِسَاءِ
الْقَمَنْتُهُمْ
غِذَاءَ

خَيْمَ مَا تَضُمُّ إِلَّا بَقِيًّا
تَكَ يَا شَعْبُ رُضْعًا وَنِسَاءَ

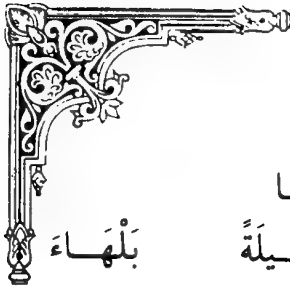
وَشَبَابًا
لَوْثُوبٍ
تُخَفِّزَتْ
قَدَمَاهُ
وَزَجَجَرَتْ
كِبَرِيَاءَ

عَجَبًا! كَيْفَ قُطِعَتْ أُمَّةُ الْعُرُ
بِ وَكَانَتْ عَقِيدَةً
وَإِخَاءَ

عَجَبًا! كَيْفَ زُلْزِلَتْ أُسُسُ الدَّ
رِ وَهَبَّتْ رِيَّاحُهَا
هَوَجَاءَ

أَفْلَتَتْ حَبْلَهَا الْمَتِينَ وَأَرْخَتْ
مِنْ عُرَاهَا وَبَدَّلَتْ
أَهْوَاءَ

وَتَدَنَّتْ لِتَغْرِقَ الْعَظَمَ مِنْ كَفِّ
فِ غَرِيبٍ يُلْقِي بِهِ
إِلْقَاءَ



وَمَضَتْ تَطْلُبُ الْحَيَاةَ بِحَيْفَا
تِ وَنَتْنٍ ذَلِيلَةً بَلْهَاءَ

ذَلْ مَنْ يَطْلُبُ الْحَيَاةَ مِنَ الْخَصْمِ
مِ وَيَرْضَى مِنْ كَفِّهِ إِعْطَاءَ

فِتْنَةً مِنْ بَنِي الْعُرْوَةِ ضَلَّتْ
وَتَمَادَوْا بِغِيَّهِمْ جَبْنَاءَ

وَفِلَسْطِينَ لَمْ تَعُدْ غَيْرَ لَفْظِ
لَمْ تُجَاوِزْ شِفَاهَهَا الْخُرْسَاءَ

أَوْ شِعَارِ يَسُوقُهُ مَهْرَجَانُ
أَوْ أَغَانٍ تَهْزُمَا خُيَلَاءَ

★ ★ ★

أُمِّي! هَبَّتِ السَّوَابِي غَضَاباً
وَجُنُوناً مُرَوَّعاً وَفَنَاءَ

حَمَلَتْ فِي عَجَاجِهَا الدَّارَ وَالْأَهْلَ
لَ وَأَيْكَا وَالْغُرْسَةَ الْخَضْرَاءَ

وَالشَّبَابَ النَّدِيَّ وَالْأَمَلَ الْحَدَّ
وَ وَخَلَّتْ وَرَاءَهَا الْأَصْدَاءَ

وَالْخَرِيفَ الْكَثِيبَ وَالْوَرَقَ الْيَا
بِسَ الدُّوْحَ خَلْفَتَهُ هَبَاءَ

★ ★ ★

أُمِّي عَوْدَةً إِلَى اللَّهِ تُحْمِي
مَيِّتَ الْأَرْضِ وَالنُّفُوسَ الْخَوَاءَ

أُمِّي! عَوْدَةً تَرُدُّ إِلَى النَّفْسِ
سِرِّ ضِيَاءِ يَمْرُقُ الظُّلُمَاءَ

أُمِّي! عَوْدَةً تَرُدُّ إِلَى الْأَيِّ
كَ رُؤَاهُ وَلِلْغُصُونِ الْمَاءَ

تَرْجِعُ الْبُلْبُلَ الصَّدُوحَ يُغْنِي
مُظْمِنُنَا وَالِدُوحَةَ الْغَنَاءَ

عَوْدَةً تَرْجِعُ الْجِهَادَ وَتُغْلِي
رَأْيَةَ الْحَقِّ وَالْيَقِينَ عِلَاءَ

★ ★ ★

يَا فِلَسْطِينَ هَذِهِ سُبُلُ النُّصْرِ
رِ فَهَبِّي وَرَدِّدِيهَا نِدَاءَ

يَا فِلَسْطِينَ! أَقْبِلِي! عَانِقِي رَا
يَهْ نَصْرِي وَهَلِّي كِبْرِيَاءَ

عَانِقِي رَايَةَ وَضُمِّي حَنَا
مُهَجَاً فَجَرْتُ عَلَيْكَ الدَّمَاءَ

عُصْبَةَ الْحَقِّ مَا تَزَالُ تُدَوِّي
وَقَمْدُ الْكُتَيْبَةِ الْخَضْرَاءِ

★ ★ ★

يَا فَلَسْطِينُ! كَمْ ضَمَمْتُ شَهِيداً
وَرَأَيْتُ الشَّامَ فَوَحَتْ أَشْدَاءُ

فَعَلَى كُلِّ رَنوةٍ زَهْرَاتُ
كَمْ حَسْبُنَاكَ قَبْلَ ذَا أَشْلَاءِ

هَكَذَا! أُمَّةٌ تُرِيدُ حَيَاةً
فَهِيَ يَرِثُنِي شَهِيدُهَا الشُّهَدَاءُ

حَمَلْتُ فِي فُؤَادِهَا آيَةَ الدِّ
بِهِ يَقِيناً وَفِي الْيَدَيْنِ مِضَاءُ

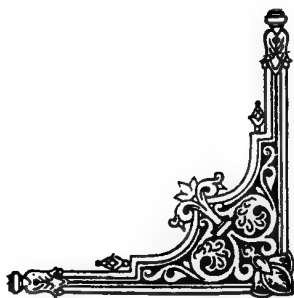
وَمَضَتْ تَذْفَعُ الْكَتَائِبَ لِلْمَجْدِ
بِدِ وَتُعَلِّي رَايَاتِهَا إِعْلَاءُ

فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ يَهْدُرُ زَخْفُ
مَلَأَ الْأَرْضَ وَاسْتَظَلَّ السَّمَاءُ



أَمْنِي! هَذِهِ الشُّهَادَةُ، وَالنُّصْرُ
رُ يَمُدُّ الْمَسَالِكَ الْحَمْرَاءَ

١٩٦٤



رجل فلسطين، مفتيها وقائد جهادها الحاج محمد أمين
الحسيني توفي في ٥ تموز سنة ١٩٧٤ في بيروت. علم من أعلام
العقيدة والجهاد في تاريخ هذه الأمة.

وسعة على رجل

هَلْ غَبَرَ الْأَفَقَ فُرْسَانٌ وَرُكَبَانُ
أَمْ رَوَّعَتْهُ مِنَ الْأَنْبَاءِ أَشْجَانُ

أَمْ حَيَّرَ الدَّمَعَ فِي الْعَيْنَيْنِ نَازِلَةٌ
فَاعْرَوَّرَقَتْ مِنْهُ أَهْدَابٌ وَأَجْفَانُ

الدَّارُ، وَالْأَهْلُ كَمْ فَاضَتْ مَحَاجِرُهُمْ
مِنْ الْأَسَى وَنَكَّى فِي الْحَيِّ خِلَافُ

وَالْأَفَقُ وَالرَّوْضُ وَالسَّاحَاتُ وَاجْفَةٌ
وَالطَّيْرُ لَوْتُ عَلَى جُنْحَيْهِ أَحْزَانُ

وَعَصَّةُ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَصَخْرَتُهُ
وَعَبْرَةٌ نَزَفَتْهَا دُونَهُ الْبَانُ



وَالظِّلُّ مِنْ شَجَرِ الزُّيْتُونِ مُنْحَسِرٌ
وَالْغُضْنُ وَاهٍ كَسَيْفِ الْبَالِ حَيْرَانُ

أَيْنَ اخْضِرَارُكَ يَا زَيْتُونُ وَارْفَةٌ
أَغْصَانُهُ وَيَحْوَطُ السَّاحَ الْأَوَانُ

يَخْنُو عَلَى ذِكْرِيَّاتٍ فِي مَرَابَعِهِ
مِنَ الدَّمِ الْحَرِّ : أَشْوَاقُ وَتَحْنَانُ

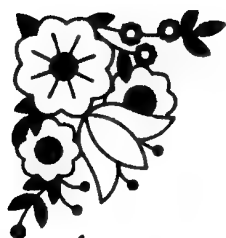
ثَوَى هُنَالِكَ أَبْطَالَ غَطَارِفَهُ
وَرَجَّعَ الذُّكْرَ وَدِيَانُ وَشُطَّانُ

هَذِي فَلِسْطِينُ كَمْ حَنْتَ مَرَابِعَهَا
إِلَى ابْنِهَا الْبَرِّ يُذَكِّي الشُّوقَ حِرْمَانُ

كَمْ هَاجَهَا الشُّوقُ لِلْقِيَا تُرْجِعُهُ
عَلَى الرُّبَى زَقَزَقَاتُ الطَّيْرِ وَالْبَانُ

كَمْ زَيَّنْتَ مِنْ رَوَابِيهَا مُعْطَرَةً
وَفَوَّحْتَ بَحْنَانَ الشُّوقِ وَدِيَانُ

حَتَّى أَتَى النَّعْيُ! مَا أَخْلَفْتَ مَوْعِدَهَا
وَلَا تَذْنَى لَهُ جُهْدُ وَإِيَانُ



نَزَلَتْ فِي الْقَبْرِ جُثْمَانًا وَقُمْتَ لَهَا
رُوحًا، فَخَفَّ لَهُ رَوْضٌ وَبُسْتَانٌ

وَحَفَّتِ الْحُورُ أَتْرَابًا تَرْفُ لَهُ
بُشْرَى وَيَخْفِقُ فِي جَنْبَيْهِ رِضْوَانٌ

لَقِيَا...! وَمَا تَشْتَهِي نَفْسٌ أَعَزَّ وَلَا
أَحْلَى وَقَدْ حَفَّهَا رَوْحٌ وَرِيحَانٌ

أَرْخَى جِهَادُكَ أَفْيَاءَ لَهَا وَمَضَتْ
يَهْزُهَا بِالْنَّدَى صَبْرٌ وَإِيمَانٌ

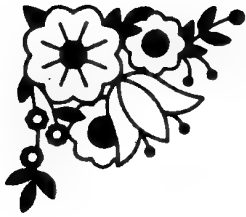
وَحَوْلَكَ الشُّهَدَاءُ الصَّادِقُونَ عَلَى
وُجُوهِهِمْ فَرَحَاتُ الْبَشْرِ إِخْوَانٌ

★ ★ ★

يَا أَيُّهَا الْجَسَدُ الثَّائِي عَلَى شَرَفٍ
أَكْبَادُنَا لِشَهِيدِ الْحَقِّ أَكْفَانٌ

تُرْخِي عَلَيْكَ حَنَانًا مِنْ جَوَارِحِنَا
ظِلًّا وَتَسْكُبُ قَطْرَ الْغَيْثِ أَجْفَانٌ

يَجْرِي النَّسِيمُ عَلَيْهِ مِنْ صَبَابَتِهِ
طِيبًا وَيَنْشُرُ مِنْهُ الطِّيبُ عِرْفَانٌ



يَظَلُّ قَبْرُكَ يَرُوي كُلَّمَا وَقَفْتُ
أَمَامَهُ خَاشِعَاتِ الطَّرْفِ أَرْمَانُ

يَرُوي صَحَائِفَ أَجْجَادٍ مُعْطَرَةً
هَلَا مِنْ الْخُلُقِ الْمَيُّونِ عُنْوَانُ

★ ★ ★

سِتُونَ عَامًا وَمَا لَأَنْتَ شَكِيمَتُهُ
وَلَا اسْتَكَانَ، وَهَذَا الْعُودُ رِيَانُ

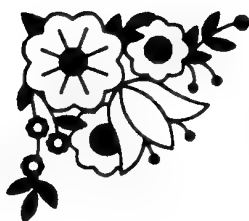
عَطَاؤُهُ مِنْ ثَنَايَا الْقَلْبِ يُفْرِغُهُ
وَجُودُهُ الصَّدْقُ إِيفَاءُ وَإِحْسَانُ

أَوْقَدْتَ مَعْرَكَةَ لِلْحَقِّ صَابِرَةً
تَقُودُهَا، وَيُنِيرُ الدَّرَبَ قُرْآنُ

دَوَى الْأَذَانُ مِنَ الْأَقْصَى وَرَدَّدَهُ
مِنْ الْكَتَائِبِ عِبَادُ وَفُرْسَانُ

وَأَقْبَلْتُ مِنْ جِبَالِ النَّارِ زَاخِرَةً
كَتَائِبُ وَرِصَاصُ الْمَوْتِ الْحَانُ

وَالشَّاطِئُ الْأَزْرَقُ الْغَافِي اسْتَحَالَ إِلَى
مَوْجٍ، كَانَ عَظِيمَ الْمَوْجِ بُنْيَانُ



كَأَنَّمَا اللَّيْلُ أَلْقَى فَوْقَهُ قِطْعًا
أَوْ احْتَوَى جَوْفَهُ نَارٌ وَتُرْكَانُ

رَبَّى الْجَلِيلَ أَضَاءَتْ مِنْ مَشَارِفِهَا
دَرْبَ الْجِهَادِ وَشَقَّ الدَّرْبَ فِتْيَانُ

وَعَزَّةٌ! أَطْلَقَتْ أَنْشُودَةً وَمَضَتْ
يَهْرُ شُطَّانَهَا صَيْدٌ وَمُرَّانُ

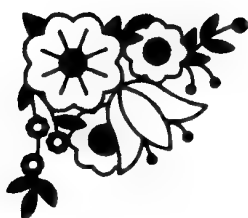
كَمْ أَطْلَقَ الْبَطْلُ الْقَسَامَ غَضَبَتَهُ
وَزَجَّجَتْ دُونَهُ يَدٌ وَكُثْبَانُ

رَدَّ الْحَسَيْنِيُّ وَجْهَ الْكُفْرِ مُنْدَجِرًا
يَجْرُهُمْ مِنْ نَوَاصِي الذُّلِّ خُسْرَانُ

وَضَمَّخَ الْأَرْضَ مِنْ عِطْرِ الدِّمَا أَرْجُ
وَذَيْنَ الْأَرْضِ يَأْقُوتُ وَعِيقِيَانُ

وَأَقْبَلَ النَّصْرُ خَفَاقًا عَلَى أَمَلٍ
يَحُوطُهُ مِنْ بَدِيعِ الدَّرِّ تَيْجَانُ

حَتَّى أَتَتْ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ دَاهِيَةً
وَأَطْبَقَتْ مِنْ دِيَارِ الْغَرْبِ غُرْبَانُ



وَاسْتَنْفَرْتَ مِنْ عَوَادِي الشَّرِّ غَضَبَتَهَا
بَنُو الْيَهُودِ وَقَادَ الْأَمْرَ طُغْيَانُ

وَزَيْفَ الْحَقِّ عَنْ إِشْرَاقِهِ دُولُ
وَشَوْهَتَهُ أَكَاذِبُ وَهْتَانُ

وَهَانَ حَوْلَكَ مَنْ تَرَجُّو مُعَوْنَتَهُ
وَغَابَ فِي ظُلْمَةِ الْأَرْزَاءِ جِيرَانُ

وَقُمْتَ وَخَدَكَ تَدْعُو، لَا تَلِينَ وَلَا
يَرُدُّكَ الْيَأْسُ أَوْ يَثْنِيكَ خِذْلَانُ

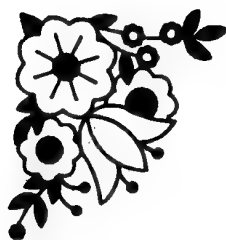
وَأَقْوَتِ الدَّارُ لَا أَهْلُ بِسَاحَتِهَا
وَلَا أَطَلَّتْ عَلَى وَادِيكَ أَفْنَانُ

تَجَرَّدَتْ مِنْ بَنِيهَا فَهِيَ خَاوِيَةٌ
كَمَا تَجَرَّدَ دُونَكَ الْأَيْكُ أَغْصَانُ

مُصِيبَةٌ لَا يُحِيطُ الْقَلْبُ صُورَتَهَا
وَقَصَّرَتْ عَنْ مَدَى الْأَرْزَاءِ أَذْهَانُ

★ ★ ★

يَا أَيُّهَا الْجَسَدُ الثَّائِي وَقَدْ سَكَنْتَ
مِنْكَ الْجَوَارِحُ : هَلْ وَعْظُ وَتَبْيَانُ



فَنُورُ وَجْهِكَ آيَاتُ مُعْبَرَةٍ
كَأَنَّهُ مِنْ بَهَاءِ النُّورِ يَقْظَانُ

يَكَادُ يَنْطِقُ مِنْكَ الشَّغَرُ حِكْمَتَهُ
كَمَا تَعَوَّدَهَا شَيْبٌ وَشُبَّانُ

يَكَادُ يَنْطِقُ وَالْخِلَافُ خَاشِعَةً
فَهَلْ وَعَتَ مِنْكَ مَا قَدْ قُلْتَ آذَانُ

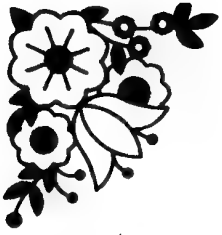
نَصَحْتَ قَوْمَكَ أَنْ لَا يَشْتَرُوا عَرْضًا
وَقَدْ شَرَى مِنْهُمْ الْأَرْوَاحَ رَحْمَانُ

لَا يَرْضَى الْوَطَنُ الْغَالِي مُسَاوِمَةً
وَلَا تَقُومُ عَلَى التَّفْقِيمِ أَوْطَانُ

مَنْ يَقْسِمِ الْقَلْبَ تَجْرِي مِنْهُ أَوْرَدَةٌ
وَيَحْمِلُ الدَّمَ فِي الْأَوْصَالِ شَرِيَانُ

وَاهَا فِلَسْطِينُ! تَذْمِيكَ الْجِرَاحُ أَسَى
وَيَدْفَعُ الدَّمَاعَ فِي الْعَيْنَيْنِ هِجْرَانُ

تَنَاشَتْهَا ذُنَابُ الْحَيِّ عَاوِيَةٌ
وَأَطْبَقَتْ فَوْقَهَا رُحْمٌ وَعُقْبَانُ



رَأَى الْخَلِيلُ تُنَادِي وَهِيَ نَازِفَةٌ
وَالْمَنْبَرُ الْحَرُّ قَدْ نَاشَتْهُ نِيرَانُ

وَصَعِدَ الْكَرْمِلُ الْمَحْزُونُ صَرَخَتَهُ
وَرَدَّدَ الصَّرَخَاتِ الْحُمَرُ «كُنْعَانُ»

نَادَتْ، وَقَدْ رَدَّدَ الْأَصْدَاءُ أَوْدِيَةً،
أَبَا صَلَاحٍ! طَفَى زَيْفٌ وَعُدْوَانُ

تَكَادُ تَنْهَضُ كَيْ تَمْحِي لِمَعْرَكَةٍ
وَتَحْتَوِيكَ مِنَ السَّاحَاتِ مِيدَانُ

مَا كُنْتَ تَتْرُكُ مِيدَانَ الْقَنَا وَهَنًا
لَكِنَّهُ قَدَرٌ يُمِضِيهِ رَحْمَانُ

لَا يَسْتَعِيدُ حِمَى الْأَوْطَانِ غَيْرُ هُدًى
مِنَ الْكِتَابِ وَعُبَادٍ لَهُ دَانُوا

تَشَوَّقَتْ لِحَنَانِ الْخُلْدِ أَنْفُسُهُمْ
فَأَزَعَدَتْ فِي الْبِطَاحِ الْحُمَرُ فُرْسَانُ

١٩٧٤



خرج هذا اللاجئين من فلسطين سنة ١٩٤٨ وأخذ يتلمس
المعاني التي غناها في طفولته وفي صباه وهو ينتقل في العالم العربي .
ومن بين الخيام والدماء أخذ ينظر للمستقبل ولطريق
العودة . . .

عمودة لاجئ

سَأَلْتُ مَنْ تَرَاهُ ذَاكَ الْغَرِيبُ
مَنْ هُوَ الشَّاعِرُ الْحَزِينُ الْكَثِيبُ

وَمَنْ الْبُلْبُلُ الصَّدُوحُ الَّذِي قَصَدَ
حَصَّ جَنَاحِيهِ صَاحِبُ وَقَرِيبُ

يَنْقُلُ الْخَطُوءَ، يَبْعَثُ النَّغْمَ الْبَا
كِي، وَيَشْكُو جِرَاحَهُ وَيُنُوبُ

حَمَلَ الزَّهْرُ مِنْ مَدَامِيعِهِ الْقَطْ
رَ، وَمِنْ جُرْحِهِ خِضَابٌ وَطِيبُ

★ ★ ★



أَنَا يَا أُخْتُ ضَائِعٌ لَسْتُ أَذْرِي
أَيْنَ قَوْمِي وَأَيَّ أَرْضٍ أَجُوبُ

فِي ضُلُوعِي أَسَى! وَفِي الْعَيْنِ دَمْعٌ
يَتَنَزَّى وَفِي الْفُؤَادِ نُدُوبٌ

وَعَلَى الْوَجْهِ بَسَمَةٌ ظَلَّلَتْهَا
غَبَرَةُ الْمَوْتِ وَاعْتَزَّاهَا شُحُوبُ

وَدَبِيبُ الْأَيَّامِ يَنْزِعُ مِنِّي
نَفْسًا خَافِقًا وَزَوْحًا يَغِيبُ

حَيْثُمَا مِلْتُ أَذْبَرُوا وَأَشَارُوا
بِيَدٍ وَأَنْطَوُوا وَقَالُوا غَرِيبُ

لَا جِيءَ! أَطْعِمُوهُ كِسْرَةَ خُبْزِ
وَدَعُّوهُ إِذَا بَدَأَ مَا يَرِيبُ

وَضَعُوهُ فِي خَيْمَةٍ كُلَّمَا حَذَ
نَ إِلَى الدَّارِ طَرْفُهُ وَالْوَجِيبُ

وَأَتْرُكُوهُ إِلَى الْوِكَالَةِ يَغْدُو
شَفَتَيْهِ لِبَانَهَا وَالْحَلِيبُ



كُلَّمَا أَقْبَلْتَ ضُلُوعِي بِالْحُبِّ
بِأَشَاحَتْ وَجُوهَهُمْ وَالْقُلُوبُ

أَنَا يَا أُخْتُ غَيْرُ مَا كُنْتُ بِالْأَمْسِ
سِرِّ فَلِلْأَمْسِ مِنْ صَبَانَا نَصِيبُ

وَأَمَانٍ عَلَى جَنَاحِي شَبَابِي
وِظْلَالُ الصَّبَا وَعُودُ رَطِيبُ

ظَلَّلْتَنِي مَرَابِعُ وَسَقَتْنِي
حَانِيَاتُ مِنَ السُّفُوحِ تَطِيبُ

سَكَبْتَ فِي دَمِي الْعَقِيدَةَ وَالْدِّ
نَ فَطَابَ الْهَوَى وَطَابَ النَّسِيبُ

طَلَعَةُ النُّورِ عَلَّمَتْنِي مَعَانِي
بِهِ وَحَقْلُ وَمَشْرِقُ وَغُرُوبُ

خُضْرَةُ الْوَادِ، أَمْ جَدَاوِلُهُ الزُّرْ
قُ، أَمْ الزَّهْرُ مُورِقُ وَسَلِيبُ

حَيْثَمَا مِلْتُ طَالَعَتْنِي آيَا
تُ فَأَبَتْ بِصَائِرِ وَقُلُوبُ

★ ★ ★



كَانَ فِي غَفْوَةِ الطُّفُولَةِ لِي دَا
رٌ وَسَفْحٌ وَكَرْمَةٌ وَقَرِيبٌ

كَانَ لِي زَهْرَةٌ يَفُوحُ شَذَاهَا
وَيَسْلَاطٌ مُنْمَقٌ وَعَشِيبٌ

كَانَ لِي بُلْبُلٌ يُغْنِي عَلَى الْغَضِّ
مِنْ وَيْنَائِي عَنْ عُشِّهِ وَيَتَوَبُّ

كَمْ حَلَا شَذْوُهُ فَغَنَّتْ دِمَشْقُ
وَسَعَتْ مِصْرُ كُلُّهَا فَاحَ طِيبُ

كَمْ زَكَا رَوْضُهَا فَأَقْبَلَ مِنْ دِجِ
لَةٍ شَادٍ وَسَامِرٌ وَنَجِيبُ

وَحَنَّا ظِلُّهَا فَمَالَتْ إِلَيْهِ
وَأَسْتَحَنَّتْ مِنَ الْهَوَاجِرِ نَيْبُ

وَسَعَى مَرْجٌ عَامِرٌ يَتَشَنَّى
ضَمُّهُ شَاهِقٌ وَوَادٍ خَصِيبُ

جَمَعَتْهُمْ رِحَابُ أَحْمَدَ فِي الْأَقْدَامِ
صَى فَخَفَّتْ رِجَالُهُمُ وَالرُّكُوبُ

★ ★ ★



كُنْتُ فِي غَفْوَةٍ فَلَمَّا صَحَا الْجَفْدُ
نُ بَكَى! أَيْنَ مَلْعَبِي وَالدُّرُوبُ

أَيْنَ رَوْضِي وَأَيْنَ وَادٍ ظَلِيلٍ
ضَمَّنَا! أَيْنَ مَأْوُهُ الْمُسْكُوبُ

لَمْ أَجِدْ غَيْرَ خِيَمَةٍ فِي ثَنَائِيَا
هَذَا رَضِيعٌ وَنِسْوَةٌ وَالشَّيْبُ

وَشَبَابُ! بَقِيَّةٌ مِنْ شَبَابٍ
يَتَلَوَّى وَجُرْحُهُ الْمَخْضُوبُ

نَزَّ مِنْهَا النَّجِيعُ طَيْباً كَمَا نَزَّ
رَ مِنْ الْوَرْدِ عِطْرُهُ الْمَحْبُوبُ

خِيَمٌ تَنَبَّتُ الْأَمَانِيُّ فِيهَا
وَيَضُمُّ الْوَلِيدُ صَدْرُ حَدُوبُ

★ ★ ★

كُنْتُ فِي غَفْوَةٍ فَلَمَّا صَحَا الْقَلْدُ
بُ دَعَا! أَيْنَ مُصْرِخُ أَوْ مُجِيبُ

أَيْنَ قَوْمِي! وَضَاعَ صَوْتِي كَأَن لَمْ
يَكْ فِي الدَّارِ صَاحِبٌ أَوْ عَرِيبٌ^(١)

(١) أي ليس فيها أحد



شَغَلَتْهُمْ لَعَاةٌ وَرَمَاهُمْ
شَرُّرٌ وَاسْتَحَرَّ فِيهِمْ لَهِيْبٌ

بَدَّلُوا مِنْ هَوَاهُمْ فَاسْتَدَارَتْ
بَيْنَ أَخْنَائِهِمْ قَنَاءٌ وَكُغُوبٌ

أَسْلَمَتْهُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ أَوْثَا
نُ فَتَاجَتْ نَوَائِبُ وَكُرُوبٌ

نَحَرُوا دُونَهَا «الْأَمَانَةَ» قُرْبًا
نَا فَسَالَتْ أَنْصَابُهَا وَالْدُرُوبُ

وَتَلَفَّتْ... أَيْنَ غَابَتْ أَنْاشِيدُ
لِدُ صِبَانَا وَلَحْنُهَا الْمَشْبُوبُ

أَيْنَ أَنْشُودَةٌ عَنِ الْعُرْبِ هَزَّتْ
مِنْ رُبَانَا وَهَزْنَا التُّشْبِيبُ

وَتَلَاشَتْ... وَغَابَ مِنْهَا صَدَاهَا
وَطَوَاهَا مِنْ الطُّلُولِ جَدِيبُ

لَمْ أَجِدْ غَيْرَ خَيْمَةٍ تَتَلَوَّى
مَرْقَتُهَا الرِّيحُ وَالشُّؤُوبُ

★ ★ ★



وَتَطْلَعْتُ وَالْجِيَامُ حَيَارَى
وَالْجِرَاحَاتِ حَوْلَهَا وَالنُّدُوبُ

فَإِذَا بِالنِّدَاءِ صَلَصَلَهُ الْحَقُّ
بِ وَأَنْشُودَةً وَلَحْنُ حَبِيبُ

مِنْ رُؤْيَى مَكَّةَ يُرْجِعُهُ الْأَفْ
قُ قَتَبْتُ لِمَنْ نَدَاهُ الْقُلُوبُ

رَفَعَتْهُ مَا ذِنْ وَأَطَلْتُ
بِهْدَاهُ مَشَارِفُ وَسُهُوبُ

وَتَعَالَتْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَاوِي
لِحِمَاهَا مُضِيعُ وَسُرُوبُ

وَحَنَّا ظَلَّهَا عَلَيْنَا فَأَوَا
نَا وَأَرْخَى مِنْ الشَّدَا مَا يَطِيبُ

يَفْرِغُ الْقَلْبُ كُلَّمَا مَالَ بِالْقَدِ
بِ هَوَاهُ وَأَغْلَقَتْهُ الذُّنُوبُ

دَعْوَةٌ لَمْ تَنْزَلْ تُقَارِعُ وَالْأَيُّ
يَامُ فِي النَّاسِ دَوْلَةٌ وَنَصِيبُ



سُنة الله غَيْرَ أَنْ لَجُنْدِ الدُّ
هـ وَغَدًا مُصَدَّقًا لَا يَرِيبُ

مَعْرَكَ تَرْفُدُ الْمَلَائِكُ فِيهِ
خَاطِرَاتٍ طِعَانُهَا لَا يَحِيبُ

مِنْ ذُرَى الصُّبْحِ صَيْحَةً وَمِنْ آهِنَدِ
دِ نِدَاءٍ مَعَ الدَّمَاءِ مَشُوبُ

وَمِنْ النِّيلِ أَنَّهُ وَمِنْ الشَّ
مِ جِرَاحٍ وَغَصَّةٌ وَكُرُوبُ

وَمِنْ الْمَغْرِبِ الْمُنُورِ بِالزُّهْدِ
رِ رَوَابٍ مَضْبُوعَةٌ وَكَثِيبُ

سَاحَةُ الْحَقِّ! كُلُّ حَبَّةٍ رَمَلٍ
مِنْ دِمَانَا مِنْكَ يَفُوحُ وَطِيبُ

هَذِهِ يَا أُخِيَّةُ الْيَوْمِ دَارِي
دَارَ فِيهَا الْقَنَا وَجُنَّ الْقَضِيبُ

جَمَعْتَنَا عَقِيدَةً يَرْجِعُ الدَّمُ
رُ صَدَاهَا وَجَمَعْتَنَا خُطُوبُ



هَذِهِ دَارُنَا نَفِيءُ إِلَيْهَا
وَفِلَسْطِينَ رَوْضُهَا وَالشُّبُوبُ

جَمَعَتْ فِي رَحَابِهَا قَبَسَ الْوَحْدِ
يَ فَشَعَتْ نُجُودَهَا وَالسُّهُوبُ

فَمِنْ الصَّدَقِ أَنْ نَغْنِي هَوَاهَا
وَمِنْ الْحَقِّ أَنْ تَرِفَ الْقُلُوبُ

وَجُنُودُ الرَّحْمَنِ يُبْرِقُ مِنْهَا
خَاطِفٌ مُلْهَبٌ وَنَصْرٌ قَرِيبُ

١٩٧٤

★ ★ ★



لوحة من صيفر



إياد

وما كدت انتهي من قراءة رسالك حتى فطنت
 (لإيادك) أني بيان التالية له آلهامه ترويه لك -
 عدنان ففترنا بنجم باد يسبح الى العليا بأسم إياد
 ولقننا ن به القرينة انزا: قد نجيت لك خيرة الاولاد
 فليرتعوا دوما بظل أبوة: وأمومة تحو على لك إياد
 متناذين كبنية برصوصية: متناصبين لصالح ورشار
 وإياد بينهم عام عام: يردي ويحلم رأس كل معادي
 ورعاية الله الكريم تحو لهم: وترد عنهم أعين الهاد

(١) هذه الأبيات أرسلها إلي خالي الشاعر المرحوم محي الدين
 الحاج عيسى بمناسبة المولد الذي رُزقت به وأسميته «إياد»،
 فأجبتة بالقصيدة التالية:

لوحة من صفد. وتاريخ الرسالة المثبتة أعلاه في
 ١٩٧٢/١/١١، وكانت ولادة إياد في ١٣٩١/١١/١ هـ الموافق
 ١٩٧١/١٢/٢١ م.

لوحة من صيفر

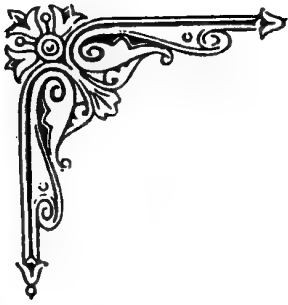
يَا خَالِ رَقَّ هَوَايَ بَيْنَ إِيَادِ
وَرَوَائِعِ الْأَحَانِ وَالْإِنْشَادِ

نَعْمُ مِنَ الشَّهْبَاءِ هَزَّ جَوَانِحِي
هَزًّا وَخَبَّرَكَ مُقْلَتِي وَفُؤَادِي

ذِكْرِي مِنَ الْأَمْسِ الْقَرِيبِ وَحَاضِرِي
كَالطَّيْرِ صَفَّقَ فِي رُيِّ وَنَجَادِ

أَوْ كَالنَّدَى وَيُطَلُّ صُبْحُ مُشْرِقِ
أَوْ كَالنَّسِيمِ وَخَفَقَةِ الْأَكْبَادِ

مَا أَمْسِ إِلَّا رَيَّةٌ وَمَلَاعِبُ
تُخَالُ فِي مُمُوجِ الْأَبْرَادِ



يَغْفُو عَلَى «كَنْعَانَ» ^(١) حُلْمُ صَبَابَتِي
كَالطُّفْلِ فِي أَرْجُوْحَةٍ وَتَهَادِي

يَضْحُو عَلَى الْبَرْقُوقِ ^(٢) فِي جَنْبَاتِهِ
فَيْلُمُهُ وَيَلُمُّ بَعْضَ الزَّادِ

مِنْ عُشْبَةٍ خَضْرَاءَ تُلْقِي دُونَهُ
بُسْطًا مُنْمَقَةً وَطِيبَ وَسَادِ

«الْعِلْتُ» ^(٣) «وَالْعَكُوبُ» بَيْنَ صُخُورِهِ
وَالزَّهْرُ بَيْنَ تِلَاعِهِ وَوَهَادِ

وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونُ تَحْتَ ظِلَالِهِ
نَغْدُو وَنَمْرُحُ فِي هَنَاءِ بَادِي

وَعَلَى غُصُونِ الثُّوتِ نَبِي عُشْنَا
وَنُعِيدُ زَقَزَقَةَ الْهَزَارِ الشَّادِي

(١) كنعان: جبل يطل على جبال سوريا ولبنان والأردن، ويشرف على سهل الحولة وبحيرة الحولة وبيحيرة طبريا.

(٢) البرقوق: زهر أحمر.

(٣) العلت والعكوب: نباتان يستخدمان للطبخ والطعام مشهوران في صفد.

يَا زَهْرَةَ اللَّوْزِ الشَّهِيٍّ وَطَلْعَةَ النَّ
نُورِ الْبَهِيِّ وَغَرْسَةَ الْأَجْدَادِ

يَا غَرْسَةَ الْعِنَابِ مَدَّتْ كَفَّهَا الـ
مَخْضُوبَ مَنْ فَرَعَ لَهَا مِيَادِ

كَالْغَادَةِ الْحَسَنَاءِ خَلْفَ خَبَائِهَا
دَفَعْتُ بَنَانًا لِلْمُحِبِّ الصَّادِي

يَا أُمْسِيَّاتٍ فِي «الرُّجُومِ»^(١) كَأَنَّهَا
عِطْرُ الشَّبَابِ وَنَهْجَةُ الْأَعْيَادِ

و«الْبَحْرَةَ الزَّرْقَاءَ»^(٢) دُونَ شِعَابِهِ
نَزَلْتُ فَأَنْزَلَهَا سَوَادَ فُؤَادِ

نَهَدْتُ بِجَنْبَيْهَا الرُّبَى وَتَوَثَّبْتُ
نَهْدَيْنِ مُضْطَرَيْنِ فَوْقَ مِهَادِ

أَهْدَى لَهَا اللَّيْلُ الشَّجِيَّ غِلَالَةً
سَمَرَاءَ تَخْفِقُ فِي ظِلَالِ سَوَادِ

(١) الرجوم: مكان تقوم فيه نزهة الشباب وقريباً منه احتفالات الأعياد. ويطل على بحيرة طبريا

(٢) البحرة الزرقاء: بحيرة طبريا.



وَشَتَّ حَوَاشِيَهَا النُّجُومُ لَالِيًا
تَطْوِي وَتَنْشُرُ مِنْ بَرِيقٍ هَادِي

حَتَّى أَزَاحَ اللَّيْلَ صَبُّ وَأَنْشَنَى
يَنْسَابُ مِنْهُ نُورُهُ الْمُتَهَادِي

نَزَعَ الْغِلَالَةَ وَاسْتَقَرَّ بِصَدْرِهَا
وَهَجَّ يُدِلُّ وَجَدُهُ بَوْدَادِ

وَالْبَذْرُ بَيْنَ النَّاهِدَيْنِ كَمَا سَةِ
مَوْصُولَةٍ فِي جِيدِهَا بِقِلَادِ

★ ★ ★

وَالْجَذُولُ الرُّقْرَاقُ وَالرُّمَانُ وَالْ
كَرْمُ النَّدِيِّ عَلَى ضِفَافِ الْوَادِي

تُحْتَالُ فِي أُعْطَافِهِ الْغَادَاتُ وَالْ
أَنْسَامُ بَيْنَ رَوَائِحِ وَغَوَادِي

وَالطَّيْرُ بَيْنَ غُصُونِهِ أَنْشُودَةٌ
وَالْمَاءُ رَجَعَ خَفَقَةً الْأَعْوَادِ

★ ★ ★

أَيْنَ «الصَّوَاوِينُ» الَّتِي أَلْقَيْتُ فِي
سَاحَاتِهَا كَرَّاسَتِي وَعَتَادِي



مَعَ صَبِيَّةٍ أَرْخَى الزَّمَانُ عِنَانَهُ
لَهُمْو فَضَجُّوا فِي رَكَائِبِ حَادِي

وَعَلَى مَدَارِجِهَا جَلَسْنَا صَبِيَّةً
نُْمَلِي الحُرُوفَ بِرِيْشَةٍ وَمِدَادِ

وَبِلَثَغَةٍ نَشْوَى وَسِحْرِ بَشَاشَةٍ
كَالنُّورِ بَيْنَ شَقَائِقِ الْأَنْجَادِ

ضَاقَتْ بِنَا حُجْرُ الدُّرُوسِ وَصَفَقَتْ
عِنْدَ السَّرَاحِ مَلَاعِبُ وَنَوَادِي

عَلَّمْتُ فِيهَا الحَرْفَ آيَا مُحْكَمًا
فَمَلَكْتُ مِنْ رَحْلِي زِمَامَ قِيَادِي

★ ★ ★

أَيْنَ الْمَنَازِلُ رَدَّدَتْ فِي سَاحِبِهَا
بَيْضُ الحَمَائِمِ أَغْنِيَاتِ بِلَادِي

أَيْنَ العَصَافِيرُ الَّتِي نَزَلَتْ بِهَا
عُشَاءً لِتَأْمَنَ طَلْقَةُ الصَّيَادِ

وَالْحَبُّ مَنْشُورٌ عَلَى أَعْطَافِهَا
وَالزَّهْرُ فَوَاحُ الشَّدَا مُتَهَادِي

★ ★ ★



يَا مَنْقَلًا لِلنَّارِ حَلَقَ حَوْلَهُ
أَهْلِي وَمَدُّوا فَوْقَهُ بِأَيْدِي

يُعْطِيكَ مِنْ خَلَلِ الرُّمَادِ عَطَاءَهُ
كَالشَّمْسِ يَحْجُبُهَا سَحَابٌ غَادِي

وَالرُّكُوءَ الصُّفْرَاءِ مِنْ أَنْفَاسِهَا
سَمَرُ الْخَلِيٍّ وَنَشْوَةُ الشُّهَادِ

يَنْسَابُ مِنْ رَشَفَاتِهِ الْفِنْجَانُ فِي
أَقْصُوصَةِ السَّمَارِ وَالْعُودِ

★ ★ ★

صَفْدًا! عَرُوسَ الدُّهْرِ! دُونِكَ فَانْظُرِي
هَذِي وَفُودُ حَوَاضِرِ وَنَوَادِي

تَسْعَى إِلَيْكَ مِنَ الشَّامِ شَوَامِخُ
وَجِبَالُ لُبْنَانٍ عَلَى مِيعَادِ

وَالسَّهْلُ وَالنَّهْرُ الْبَدِيعُ وَخُضْرَةُ
أَلْقَتْ كَأَسُورَةٍ لَهَا بِرْنَادِ

وَالْجَرْمَقُ الْخَفَاقُ لَوْلُوءَةٌ عَلَى
تَاجٍ وَدُرَّةٍ قَدْكَ الْمِيَادِ



يَا خَفَقَةَ الْأَبْنَاءِ! يَا دَمَعَ الْحَيَا
يَا مُهَجَةَ الْأَبَاءِ وَالْأَحْفَادِ

صَفْدًا! وَأَنْتِ مَعَ الْعُلَا فِي مَوْعِدِ
مَوْصُولَةٍ الْأَمْجَادِ بِالْأَمْجَادِ

★ ★ ★

تَلَفَّتَيْنِ وَبَيْنَ عَيْنَيْكَ الْهَوَى
لِمُرَابِعِ مَمْدُودَةٍ وَوَهَادِ

فَالْقِي دِيَارَ الشَّامِ عَطْفَةً جِيدَهَا
نُعْمَى السَّيِّئِ وَلَفْتَةَ الْآبَادِ

فَرَبَى الْخَلِيلِ يُطَلُّ فِي جَنَابَتِهَا
وَحْيٍ يُوشِيهَا وَرُوحٌ هَادِي

أَهْدَى لَهَا الرَّحْمَنُ طِيبَ خَلِيلِهِ
نَفْحَ الْحَنِيفَةِ عَاطِرَ الْإِمْدَادِ

وَالْمُسْجِدُ الْأَقْصَى عَلَى سَاحَاتِهِ
وُلِدَ الزَّمَانُ فَعَزَّ بِالْمِيلَادِ

جُمِعَتْ بِسَاحَتِهِ النُّبُوءَةُ وَالتَّقَتْ
بِالْغَيْبِ فِيهِ مَعَالِمُ الْأَشْهَادِ

أَلَقْتُ لِأَحْمَدَ بِالْإِمَامَةِ فَارْتَقَى
سَبْعاً بِوَمُضَةٍ بَارِقٍ صَعَادٍ

فَإِذَا رَيْكَ جَمِيعَهَا مَجْلُوءَةً
بِالنُّورِ فِي عُرْسٍ وَفِي أَغْيَادٍ

أَهْدَيْتِ لِلْإِسْلَامِ مُلْكاً خَالِصاً
يَلْقَاكَ فِي بَشَرٍ وَفِي إِسْعَادٍ

مَنْ ذَا يُنَازِعُهُ وَمَهْرُكَ فِي الْوَرَى
غَالٍ وَدُونِكَ حَوْمَةٌ الْآسَادِ

تَسْعَى إِلَيْكَ عَلَى الزَّمَانِ كَتَائِبُ
نَفَحَتْ عَلَى عِطْفَيْكَ عِطْرَ جِهَادٍ

وَفَوَارِسُ لَعَّ الْقَنَا بِيَمِينِهَا
فَانْشَقُّ لَيْلُكَ عَنْ جَمَالِ بَادِي

فَجُنُودُ أَحْمَدَ أُرْعَدَتْ عَطَافَةً
تَحْتَالُ بَيْنَ طَوَارِفِ وَتِلَادٍ

وَتَصُوغُ مِنْ مُهْجَاتِهَا لَكَ خَاتماً
مَهْرَ الْهَوَى وَقَلَائِدَ الْأَجْيَادِ



رَضَعَتْهَا بِدَمِ الشَّهِيدِ لَالِيًا
فَتَوَهَّجَتْ فِي لَيْلِكَ الْوَقَادِ

دَفَعَتْ عَلَى كَفِّكَ أَغْلَى جَوْهَرِ
فَنَثَرَتْهُ فِي زَاهِرِ الْأَبْرَادِ

وَعَلَى جَبِينِكَ مِنْ أَسَاكِ مُلَاءَةٌ
فَرَفَعَتْهَا لِلْفَارِسِ الرَّعَادِ

وَتَعَطَّرَتْ دُنْيَا الْمَرْوَاتِ الَّتِي
أَغْنَيْتَهَا بِمَكَارِمِ وَأَيَادِ

لِتَرُدَّ عَنْكَ أَدَى الْعُدَاةِ وَتَجْتَلِي
مِنْ نَاطِرِكَ رِضَى وَصِدْقِ وَدَادِ

وَتَرُدَّ مِنْ دَنْسِ الْيَهُودِ وَتَغْتَلِي
بِالْطُّهْرِ وَالْإِيمَانِ أَيَّ نَجَادِ

وَتَعُودُ آيَاتُ الْكِتَابِ وَنُورُهَا
أَلْقَى الرُّبَى وَنَضَارَةَ الْعُبَادِ

١٣٩٢ هـ.

١٩٧٢/٢/١٠ م.

★ ★ ★

كلمات قليلة إلى هذه الأمة التي تمزقت كيف تتأخى
وتلتقي..... عقيدة وجهاد، سواعد وقلوب.

سواد وقلوب

يَا أَخِي هَذِهِ يَدِي وَعُهُودِي
جَمَعْتَنَا عَقِيدَةً وَدُرُوبُ

لَا تَذَرْنِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحِيدًا
فَكَلَانًا، إِذَا فَعَلْتَ، غَرِيبُ

قُمْ لِنَبْنِي أَعْجَادَنَا عَزَمَاتٍ
صَادِقَاتٍ وَهَمَّةٌ لَا تَحِيبُ

يُمَسِّكُ الْعُرْوَةَ الْوَثِيقَةَ إِنَّمَا
نُ وَوَحْيٍ مِنَ الْجِهَادِ نَجِيبُ

حَفِظَ اللَّهُ أُمَّةً تَتَأَخَى
مِنْ بَنِيهَا سَوَاعِدُ وَقُلُوبُ

١٩٦٦

لأخي^(١)

أخي! لا تُبالِ إذا ما افترقنا
سَيَجْمَعُ مِن أَمْرِنَا الرَّائِدُ

فَلَسْنَا عَلَى الْبُعْدِ إِلَّا جَنَاحِي
مِن مَّدَا وَخَفَقُهُمَا وَاحِدُ

يَمُدُّ اللَّيَالِي بِنُورِ الْهُدَى
إِذَا جَالَ فِيهَا الْفَتَى الْمَاجِدُ

وَيَمْضِي سَنَا بَرْقِهِ خَاطِفاً
لِيَرْتَاعَ مِن بَرْقِهِ الْحَاقِدُ

★ ★ ★

أخي! لا تُبالِ إذا ما افترقنا
هُنَاكَ سَنَلْقَى الرُّضَا وَالْحَنَانَ

(١) أُلْقِيتَ فِي ندوة شعرية في رابطة الطلاب الفلسطينيين في القاهرة .



عَلَى أَفْقٍ مُشْرِقٍ بِالدِّمَا
وَفَجَّرَ عَقْدَنَا عَلَيْهِ السُّنَانُ

فَتَزَكُّو الرُّوَابِي بِأَنْفَاسِهِ
وَتُزْهِرُ ثَمَّتْ نَدَاهُ الْجَنَانُ

وَتَحُلُّو هُنَالِكَ أَنْشُودَةً
تُرْجِعُ خَفَقَ الْقَنَا وَالطَّعَانُ

أَخِي! إِنَّ عَدَا الظُّلْمِ فِي دَرْبِنَا
هُنَالِكَ مِيدَانُنَا
* * *

لَنَا عُرْوَةٌ لَا أَنْفِصَامَ لَهَا
وَحَبْلٌ مِنْ اللَّهِ لَا يَقْطَعُ

فَصَبْرُكَ دُنْيَا أَزَاهِيرُهَا
أَنِينُكَ وَالشُّوقُ وَالْأَذْمُعُ

وَصَبْرُكَ دُنْيَا تَنْفُسُ عَنْهُ
ضُلُوعُ وَتَنْشُرُهُ
الْأَرْبَعُ

أَخِي! لَا تُبَالِ فَهَذِي الْقُلُوبُ
وَهَذِي السُّوَاعِدُ ثَارَتْ مَعَكَ
* * *



فَلَا ظُلْمَةَ السَّجْنِ تَخْشَى وَلَا
جُنُونَ الشَّيَاطِ بَرَى أَضْلَعَكَ

وَلَا الْقَيْدَ حَطَمَهُ كَبْرِيَا
وَك! قَطَعْتَهُ دُونَ أَنْ يَقْطَعَكَ

وَجَلَادُكَ الْوَحْشُ أَذَلَّتْهُ
وَقَدْ كَانَ يَبْغِي هُنَا مَصْرَعَكَ

★ ★ ★

أَخِي! كَمْ طَلَيْقٍ حَبِيسِ الدُّنْيَا
وَعَبْدٌ تَلَبَّسَ أَثْوَابَ حُرٍّ

وَكَمْ مِنْ سَجِينٍ بِإِشْرَاقِهِ
غَدَتْ ظُلْمَةُ السَّجْنِ إِشْرَاقَ فَجْرِ

فَقُلْ لِلْعُتَاةِ وَأَحْشَادِهِمْ
وَمَنْ أَعْمَلَ السُّوْطَ فِي كُلِّ ظَهْرِ

تَنَالُونَ أَضْلَعِي أَلْبَالِيَا
وَأَحْيَا بِإِيمَانِي الْمُسْتَقِرَّ

★ ★ ★

أَخِي! فَرَّقْتَنَا يَدُ الْمُعْتَدِينَ
وَجَمَعَنَا الْحَقُّ، وَالْحَقُّ أَقْدَرُ



غَدَاً نَلْتَقِي فِي فَلَسْطِينِ أَوْ فِي الـ
جَزَائِرِ جُنْدَ السَّلَامِ الْمُؤَزَّدِ

يُدْوِي هُنَالِكَ صَوْتُ الدُّعَاةِ
يُرَدِّدُهُ الْكَوْنُ : اللَّهُ أَكْبَرُ

هُنَالِكَ زُلْزَلُ جَمْعِ الطُّغَاةِ
وَبُرُوعُ جَيْشِ النِّفَاقِ وَأَذْبَرُ

★ ★ ★

أَخِي فِي الْجَزَائِرِ يَا ابْنَ الْبُطُو
لَهُ أَوْ فِي الْقَنَالِ وَفِي بُورِ سَعِيدِ

أَخِي فِي فَلَسْطِينِ كَمْ أَشْرَقَتْ
بِكَ الدَّاجِيَاتُ فَنِعَمَ الشَّهِيدِ

هُوَ الدَّهْرُ مَرٌّ بِأَحْدَاثِهِ
تَلَقَّيْنَاهُ أَنْتَ مَعْنَى الْخُلُودِ

تُرَوِّي الثَّرَى بَطْهُورِ الدِّمَاءِ
وَتُبْعَثُ فِي الْأَفْقِ فَجْراً جَدِيدِ

★ ★ ★

أَخِي لَا تَبَالِ إِذَا مَا افْتَرَقْنَا
فَبَيْنِي وَبَيْنَكَ عَهْدٌ وَثِيقُ



تَشْدُ الضَّحَايَا عُرَاهُ، وَتُكَلِّي
وَطْفُلٌ مَعَ الدَّمِ مُلْقَى غَرِيقُ

فَقُلْ لِبِرْطَانِيَا وَأُخْلَافَهَا
وَمَنْ ظَنَّنَا سِلْعَةً أَوْ رَقِيقُ

هُنَا أُمَّةٌ دَفَعَتْهَا الْحَيَاةُ
وَخَطُّ لَهَا اللَّهُ هَذَا الطَّرِيقُ

★ ★ ★

فَمِنْ خَلْفِ أُوْرَاسِ نُورِ الْحَيَاةِ
يَشْعُ بِهِ دَمُكَ الطَّاهِرُ

ضَحَايَا فِدَاءِ الْعَقِيدَةِ مَرَّتْ
شَهِيدٌ يُعَانِقُهُ آخِرُ

فَقُلْ لِفَرَنْسَا وَقَدْ سَاقَهَا
إِلَى خَنَفِهَا رَجُلٌ فَاجِرُ

رُؤْيَدَكَ يَا ابْنَةَ نَعْلِ الْغَزَاةِ
مَتَى كَانَ فِيكَ فَتَى طَاهِرُ

★ ★ ★

وَأَنْتَ أَخِي يَا ابْنَ دَارِ السَّلَامِ
سَلَامٌ عَلَى رُوحِكَ الْمَشْرِقِ



سَلَامٌ عَلَى الْجَرْحِ أَنْفَاسُهُ
شَوَاطُ الْهَيْبِ، قُتِرَ وَأَخْفِقَ

وَحَلَّ دِمَاءُكَ مَاءَ الْحَيَاةِ
تَفِيضُ عَلَى نَهْرِكَ الْمَغْدِقِ

لِتَجْرِفَ نُورِي وَأَخْلَافُهُ
وَتُلْقِي بِمُسْتَعْمِرٍ أَخْرَقَ

★ ★ ★

أَخِي! ذَرُّنَا الشُّوْكَ كَمِ مِنْ شَهِيدٍ
تَرَدَّى عَلَيْهِ وَمَا اسْتَسَلِمَا

وَلَيْلٍ بِهِمِ نَثَرْنَا عَلَيْهِ
لَدَى الرَّوْعِ قَطَرَ الدِّمَاءِ أَنْجَمَا

دُعَاةً إِلَى اللَّهِ لَا نَنْثِي
وَقَلْبًا إِلَى اللَّهِ قَدْ أَسْلَمَا

تَهَبُ الرُّوَائِحُ مِنْ جَنَّةٍ
لِيَغْبِقَ مِنْهَا زَكِيُّ الدِّمَاءِ

★ ★ ★

تَقَدَّمْ أَخِي! إِنَّ هَذِي الْمَشَانِدَ
قَدْ كُنْتُ قَبْلَتْ أَعْوَادَهَا



تَقَدَّمْ! فَبَلَكَ دُرُوبُ الْجِهَادِ
تَشِيدُ بِبَذْلِكَ أَفْجَادَهَا

فَدُنْيَا الْبَطُولَاتِ مَنْ ذَا لَهَا!
سِرَاكُ يُجَدِّدُ أَغْيَادَهَا

تَمُرُّ اللَّيَالِي بِأَشْوَاقِهَا
تُحْلِي بِذِكْرَاكِ أَجْيَادَهَا

★ ★ ★

وَأَقْبِلْ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْجِهَادِ
أَخَا صَدَقَ اللَّهُ مَا عَاهَدَهُ

فَذَلِكَ خَاصٌّ غَمَارَ الْحِمَامِ
وَأَخَرُ مَدُّ لَهْ سَاعِدَةٍ

وَحَوَّلَهَا إِخْوَةً أَقْبَلُوا
عَلَى اللَّهِ بِالْأَنْفُسِ الْعَابِدَةِ

هُوَ الدَّهْرُ مَرَّ بِسَاحَاتِهِمْ
يُلْقِنُ بِالذَّعْوَةِ الْخَالِدَةِ

★ ★ ★

أَخِي! مَنْ يَكُنْ هُمَّةُ يَوْمِهِ
يُرَدِّي مَعَ الْغَدِ فِي قَبْرِهِ



وَمَنْ كَانَ مِنْكَ يَبْنِي الْحَيَاةَ
يَسْعُ الْخُلُودَ عَلَى فَجْرِهِ

أَخِي! أَنْتَ حَمَلْتَ هَذِي الْأَمَانَةَ
تَقْضِي عَلَى الظُّلْمِ فِي وَكْرِهِ

كَتَائِبُ يَضْحَوِ عَلَى رَحْفِهَا
أَخُو غَفْلَةٍ ذُلٌّ فِي كِبَرِهِ

١٩٥٧

★ ★ ★



سِفْقُ الْفَجْرِ

لَسْتُ أَرْضَى الْيَوْمَ أَنْ أَتَغَوَّلَ لِدِ
مِذْيَةِ الْحَمْرَاءِ مِثْلَ الْغَنَمِ

كَيْفَ نَمْضِي كَقَطِيعِ سَاقِهِ
كَفُّ جَزَارٍ إِلَى حَوْضِ الدَّمِ

كَيْفَ نَبْقَى مُضْغَةً دَارَتْ عَلَى
نَابِهِ الْقَائِي وَأَضْرَاسِ الْقَمِ

أَمْ تَرَانَا سِلْعَةً يُلْقَى بِهَا
هَرَجُ السُّوقِ لِبَاغِ نَهْمِ

أَيُّ سَوْقٍ تِلْكَ! مِنْ شَيْطَانِهَا
هَبُّ الْمَوْتِ وَكَفُّ الْعَدَمِ



يَدْفَعُ الْمَوْجَ عَلَى سَاحِلَيْهَا
أَمَّا تَدْفَعُ حَقْدَ الْأُمَمِ

تَلْتَقِي فِي خَطْفَةِ الْمَوْتِ عَلَى
مِرْجَلٍ مِنْ نَارِهَا الْمُضْطَرِمِ

فَإِذَا الدُّوَلَارُ قَيْدٌ مُطْبِقٌ
تُمَعِنُ فِي عُقْبِي أَوْ مِقْصَمِ

أُمِّي! تِلْكَ هِيَ السُّوقُ إِذَا
كُنْتَ تَرْضِيْنَ بِذُلِّ الْمَغْنَمِ

يَدْفَعُ الشَّرَّ حُلَالَاتٍ مَضَتْ
تَبْتَنِي أَجْحَادَهَا فِي مَاتَمِ

كَكِلَابٍ لَمْ تَعُدْ نَابِحَةً
إِنْ يَجْدُ بِالْعَظَمِ كَفُّ الْكَرَمِ

لَمْ تُجَاوِزْ عِزَّةَ النَّفْسِ بِهِمْ
لَفْظَةً مَاتَتْ عَلَى ثَغْرِهِمْ

لَمْ تَكُنْ حُرِّيَّةً مَا زَعَمُوا
غَيْرَ قَيْدٍ مُطْبِقٍ أَوْ لُجْمِ



وَسُجُونِ زُجِحَتْ أَبَوَاهَا
وَرَصَاصِ عَاصِفِ مُحْتَدِمِ

إِنَّهُمْ لَيُسُو إِذَا هُمْ الْوَعَى
غَيْرَ سَيْفِ وَاجِفِ مُنْهَزِمِ

عُصْبَةَ الْحُكَّامِ جُورِي رُبَّمَا
لَمْ يَظُلْ عَهْدُكَ! جُورِي وَاطْلَمِي

لَسْتُ فِي تَارِيخِنَا الصَّاعِدِ إِلَى
لَا بَقَايَا حُلْمِ لَمْ يَدُمِ

★ ★ ★

إِيهَ يَا مِصْرُ! فَمَا أَطْهَرَهَا
نَفْحَةً مِنْ دَمِكَ الْمُضْطَرِمِ

حُمْرَةٌ فَوْقَ رُبَاكِ الْخَضِرِ مِنْ
شَفَقِ الْفَجْرِ فَسِيرِي وَاقْحَمِي

وَاعْصِفِي مِنْ دَمِكَ الشَّائِرِ فِي
أَنْفُسِ تَرَقُّدُ نَهَبِ السَّامِ

★ ★ ★

مَا لِمِصْرِ أَيْقَظَتْ فِرْعَوْنَهَا
فِي لَيَالٍ حَالِكَاتِ الظُّلَمِ



أَيَقُظُّهُ كَفُّ وَاشْنُطُنْ مِنْ
نَوْمِهِ الْهَادِي تَحْتَ الْهَرَمِ

هَبْ مِنْ رَقْدَتِهِ طَيِّبِ الْبَلَا
وَأَنْشِنِي حَيًّا كَأَنَّ لَمْ يَنْمِ

لَمْ تَزَلْ عَادَتُهُ أَنْ يَفْتَدِي
بِضَحَايَا النُّيْلِ فَيُضِ النُّعْمِ

لَمْ يَعُدْ رُؤَاؤُكَ الْيَوْمَ سِوَى
تُخْرِجُ يَنْقُلُ حُرُّ الْقَدَمِ

لَمْ تَعُدْ أَرْضُكَ إِلَّا مَسْرَحًا
أَخْرَجَتْ فِيهِ مَا مَيَّ النُّقَمِ

أَيْنَ دِينِي مِيلُ، وَقَدْ حَاكَ بِهَا
قِصَّةُ نَشْهَدَمَا لَمْ تُخْتَمِ

يَا شَهِيدًا ضَمَخَ التُّرْبَ شَذَا
وَدَمًا سَالَ بِسَفْحِ الْهَرَمِ

لَمْ يَكُنْ طَوْفُكَ إِلَّا زَهْرَ الْ
غَارِ فِي رَتَعَانِهِ فَأَبْتَسِمِ



إِخْوَةُ! مَدُّوا عَلَى رَاحَتِهِمْ
رُوحَهُمْ فِي كِبَرِيَاءِ الْمُسْلِمِ

فَاصْتَ الرُّوحَ وَفِي أَفْوَاهِهِمْ
دَعْوَةُ لِلْحَقِّ لَمْ تَهْدِمِ

إِخْوَةُ يَرْبِطُهُمْ حَبْلُ الرَّدَى
فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ يَنْقُصِمِ

طَلَعَ الصُّبْحُ وَهُمْ فِي أَفْقِهِ
كَتُوبٌ يَهْدِي سَبِيلَ الْأُمَمِ

★ ★ ★

مِصْرًا! تِيهِي بِضَحَايَا فَتَحَتْ
سُبُلَ الْمَجْدِ، فِتِيهِي وَأَسْلَمِي

وَتَلَقَّنِي مِنْ رُؤَى الْأَرْدُنِّ نَفْ
حَةَ رُؤَادِ الْمَنَى الْمُبْتَسِمِ

وَالْفُرَاتِ الْعَذْبِ أَشْوَاقَ رِضَى
لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَبِيرَ الْعَنْدَمِ

وَمِنْ الشَّامِ وَمَا أَنْضَرَهَا
وَمِنْ الْقُدْسِ وَيَتِ الْحَرَمِ



وَرَى لُبَّانَ مِنْ أَجَادِهَا
نَفْحَةَ الْأَرْزِ وَحُلُو النَّسَمِ

★ ★ ★

أُمِّي! تَيْهَى بِمَا حَطَّنتِ مِنْ
صَنَمٍ أَوْ شِدَّتِهِ مِنْ عِلْمِ

فِي رَى الشَّرْقِ فِي سَاحَاتِهِ
تَلْمُحُ الْعَيْنُ بَرِيقاً مِنْ دَمِ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا يَلْقَى جَهَا
دُكَ يَا شَعْبُ فَقُمْ وَاقْتَحِمِ

وَابْنِ مَجْداً كُنْتَ قَدْ دَاعَبْتَهُ
حُلُمًا فِي غَفْوَةٍ أَوْ سَامِ

★ ★ ★

أُمِّي! هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مَا
مَدَّهُ إِلَّا صَرِيحُ الْهَمَمِ

فَاضْعِدِي فِيهِ كَمَا يَضَعْدُهُ
بِالتَّقَى وَالْعَزْمِ حُرُّ الشُّيَمِ

وَاجْعَلِي دَارَكَ رَوْضاً زَاهِراً
عَابِقاً بِالْأَمَلِ الْمُبْتَسِمِ



فِيكَ يَشْدُو بُلْبُلٌ مُنْطَلِقٌ
بَاعِثٌ فِي الرُّوضِ حُلُوَ النُّفَمِ

١٩٥٥

★ ★ ★



وما وبرئته

أَدَمَ يُرَاقُ وَفْتِيَةً يَتَسَاقُطُو
نَ وَعُضْبَةُ الطَّاعُوتِ فِيهِمْ تَحْكُمُ

وَالشَّعْبُ مَسْكِينٌ يُجَرِّدُ فَوْقَهُ
سَيْفٌ تُشَلُّ بِهِ الْيَدَانِ وَيُلْجَمُ

وَتُرَدُّ أَبْوَابُ السُّجُونِ وَخَلْفَهَا
جَسَدٌ يَغِيبُ وَهَمَّةٌ تَتَقَدَّمُ

وَيُشْرَدُ الْأَحْرَارُ فِي أَفْوَاهِهِمْ
صَوْتُ الْجِهَادِ قَصَائِدُ وَتَرْنُمُ

وَتُبَاحُ أَسْوَاقِ الْبِلَادِ لِيُغَاصِبَ
يَوْمَ الْجَلَاءِ! وَقِيلَ ذَلِكَ مَغْنَمُ

★ ★ ★



وَحَاكِمُ التَّفْتِيشِ مَدَّ رُؤُوفَهَا
كَفَّ يَسِيلَ عَلَى جَوَانِبِهَا الدَّمُ

وَمَهَازِلُ فِيهَا تُحَاكُّ فَأَحْمَقُ
يَهْدِي، وَخُرُّ قَيْدُوهُ وَكَمُمُوا

وَدَعَا بَيْنَ بَنَادِقٍ مَضْفُوفَةٍ
وَقَنَا مُحَدَّدَةٍ وَقِيلَ تَكَلَّمُوا

وَأَخُو الْقَضَاءِ أَخُو هَوَى وَضَغِينَةٍ
وَجَهَالَةٍ تَبْدُو عَلَيْهِ وَتُرْسَمُ

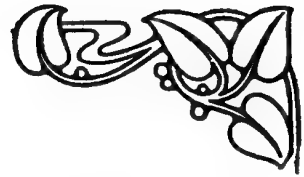
وَدَعَا إِلَى حُرِّيَةٍ وَكَأَنهَا
زُنْدٌ يُكْبِلُهُ الْحَدِيدُ وَمِغْصَمُ

يَا شَعْبُ! بِاسْمِكَ كَمْ تَبَاحُ مَظَالِمُ
وَالشَّعْبُ لَا يَذْرِي وَلَا هُوَ يَحْكُمُ

★ ★ ★

مَالِي أَرَى الشَّرْقَ الْعَزِيزَ يَسُومُهُ
ذُلُّ الْهَوَانِ وَيَسْتَبِيحُ مُقَدَّمُ

كَفَّ الطُّغَاةَ مِنَ الدِّمَاءِ خَضِيئَةٍ
وَقُلُوبَهُمْ دِمْنٌ وَوَجْهٌ أَجْهَمُ



تَهْوِي الرُّؤُوسُ عَلَى السُّيُوفِ كَأَنَّمَا
تَهْوِي عَلَى ثَغْرِ الْحَبِيبِ وَتَلْتَمُ
وَالسَّائِرُونَ عَلَى الطَّرِيقِ خُطَاهُمُ
لَهَبٌ إِذَا صَرَعُوا يَمُدُّ وَيَقْحَمُ
وَالنَّاشِرُونَ رِسَالَةً وَضَاءَةً
مِلءَ الزَّمَانِ جُنُودُهُمْ لَا تَهْزَمُ
وَعُرَى الْجِهَادِ يَشُدُّ مِنْ تَوَثُّقِهَا
حَبْلُ الْعَقِيدَةِ وَالضُّحَايَا وَالْدَّمُ

١٩٥٥

★ ★ ★



في رثاء الأستاذ الشهيد سيد قطب.

وَبَسَّمَتِ حَمِيمَ الشُّرُوفِ فَجْرُ

غَرْدِي يَا طُيُورُ وَالتَّقِطِي الْحَبَّ
بَ وَطُوفِي بِرَوْضَةٍ وَمَغَانِي

وَأَنْشُرِي مِنْ رُؤَى الْخَمَائِلِ أَفْيَا
ءَ وَمُدِّي غَلَالَةً مِنْ أَمَانِ

وَخَفِيقِي بِالرِّضَاءِ أَجْنَحَةَ الْخَدِّ
يَرِ عَلَى غُضَنِ رَوْضِكَ الرِّيَّانِ

وَاعْبِقِي يَا زُهُورُ بِالْأَرْجِ الْحَدِّ
وَوَتِيهِ عَرَائِسًا فِي جَنَانِ

عُرْسُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَفْ
رَاحَ رُؤَاهَا مَمْزُوجَةً الْأَلْوَانِ



عُرُسُ تَرْقُصُ الْخَرَائِدُ فِيهِ
عَبْقَرِي الْأَشْوَاقِ وَالْأَحْزَانِ

تَتَشَنَّى أَطْيَافُهُ مُلْهَمَاتُ
وَالْأَهَازِيجُ خَفَقَةُ الْإِيمَانِ

يَمْلَأُ الْأَفَقَ مِنْ سَنَا قَطَرَاتِ
مِنْ دَمٍ رَاعِفٍ وَنُورِ حَانِي

تَلَلًا كَأَنَّهَا رَعَشَاتُ الـ
رُوحِ أَوْ وَمِضَّةٌ مِنَ الْإِحْسَانِ

تَسْأَلُ الْحُورُ : أَيُّ رُوحٍ زَكِيٍّ
مُلْهَمِ الشُّوقِ مُفْعَمِ الْوَجْدَانِ

أَيُّ رُوحٍ هَفَا فَخَفَّ إِلَيْهِ
عَبَقُ وَاسْتَحَثَّ مِنْ رِضْوَانِ

إِنَّهُ سَيِّدُ دَعْتِهِ إِلَى الْخُلْدِ
بِـ نِدَاءَاتِ شَوْقِهِ الظَّمَانِ

★ ★ ★

إِنَّهُ خَفَقَةُ الْيَقِينِ، أَمَانِي
يُ جِهَادِ نَسَائِمِ الْقُرْآنِ



هَبْ كَاللَّيْثِ، وَالْدِّيَاجِرُ حَمَقَى
جَاحِحَاتٍ مَقْلُوتَةٍ
الْأَرْسَانِ

لُجْجاً مِنْ نَوَازِعِ الشَّرِّ سُوداً
مُثْقَلَاتٍ هَذَرْنَ
بِالْحَدَثَانِ

تَنْزِعُ النَّاسَ، وَالْخَلَائِقُ حَيْرَى
تَائِهَاتٍ الْأَبْصَارِ
وَالْآذَانِ

كُتِلْ! كَالْعَبِيدِ يَنْهَبُهَا السُّورُ
طُ جُنُوناً تُسَاقُ كَالْقِطْعَانِ

الطَّرِيقُ الطَّوِيلُ شَقٌّ عَلَيْهَا
فَهَوَتْ فِي مَزَالِقِ وَهَوَانِ

فِتْنَةٌ تُهَذِّرُ الْمَرْوَاتُ فِيهَا
وَتُرَدَّى كَرَامَةُ
الْإِنْسَانِ

وَالنُّدَاءُ الْكَرِيمُ يَخْنُقُهُ اللَّيْلُ
لُ وَتَطْفَى دَعَاوُهُ
الْكُفْرَانِ

جَفَّ فِي الْخَلْقِ كُلِّ صَوْتٍ نَدِيٍّ
كَجَفَافِ الْمِيَاهِ فِي
الْعِيدَانِ



وَتَلَاشَى عَلَى ثَنَائِيَا شِفَاهِ
كَتَلَاشِي الرُّوَاءِ فِي الْأَغْصَانِ

وَهَوَى الصَّرْحُ، وَالْحَجَارَةُ مُزَقْدُ
نَ وَمَادَتْ قَوَاعِدُ الْأَرْكَانِ

كُلُّ صَخْرٍ عَلَى الثَّرَى قِصَّةُ الْمَجْدِ
بِدَ، حَدِيثٌ يُتْلَى عَلَى الْأَزْمَانِ

الصُّخُورُ الصَّمَاءُ تَصْرُخُ غَوْنًا
وَالْوَرَى مُلْجَمٌ بِغَيْرِ لِسَانِ

تَذْمَعُ الزُّهْرَةُ النَّدِيَّةُ فِي الرُّوْ
ضِ وَلَكِنْ لَمْ تَذْمَعِ الْعَيْنَانِ

يَجْمَعُ الطَّيْرُ مِنْ أَسَاهُ جَنَاحِهِ
بِ وَيَمْضِي مُرْجَعُ الْأَحْزَانِ

وَالرِّيَّاحُ الْهَوْجَاءُ تَنْدُبُ أُنْجَا
دَا وَأَصْدَاؤُهَا بِكُلِّ مَكَانِ

غَيْرَ أَنَّ الْعَبِيدَ قَتَلَهَا الدُّ
لُ فَلَمْ تَرْتَعْشِ لِسَوِّطِ هَوَانِ



وَإِذَا الْحَقُّ صَيَحَهُ تَعَالَى
وَإِذَا الْأَفْقُ مِنْبَرٌ لِأَذَانٍ

وَتَعَالَتْ اللَّهُ أَكْبَرُ فِي الْأَرْ
ضِ ، عَلَى رَنوةٍ عَلَى شُطَّانِ

وَانْطَوَى اللَّيْلُ عَنْ سَنَا الْفَجْرِ أَنْوَا
رًا وَلَاحَتْ بَشَائِرُ وَأَمَانِي

دَعْوَةٌ مِنْ صَدَى النُّبُوَّةِ مِنْ أَنْ
فَاسِ آيَاتِ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

يَنْهَضُ الصَّرْحُ فِي شُمُوحٍ وَتَرْقَى
عِزَمَاتُ الْبِنَاءِ بِالْبُنْيَانِ

أَلْقَى فِي ذُرَاهُ كَالْأَنْجُمِ الزُّهْدُ
رِ وَقُطِبَ مَنَارَةُ الرُّكْبَانِ

وَمَضَتْ دُونَهُ الْبُطُولَاتُ أَمْوَاجَ
أَ وَهَبَتْ كَتَائِبُ الرَّحْمَانِ

وَتَرَامَتْ عَلَى الْبِطَاحِ خُيُولُ
وَتَلَاَقَتْ صَيْدٌ مِنَ الْفُرْسَانِ

* * *



إِيَّاهُ يَا سَيِّدَ حَمَلَتْ إِلَى النَّاسِ
سِرّاً سَلاماً وَرَوْعَةً مِنْ بَيَانِ

صُفَّتْ مِنْ مُهَجَةٍ تَعَابِيرُ أَشَدِّ
وَأَقْوَى وَمِنْ آيَةِ الْكِتَابِ مَعَانِي

وَتَفْصِيَّاتٍ فِي ظِلَالٍ مِنَ الْخَيْبِ
رِ وَأَنْدَاءٍ رَوْضَةٍ وَجَنَانِ

لَمْ تَزَلْ تَقْطُفُ الْوُرُودَ أَكْثَرُ
لَيْلٍ وَتَهْدِي قَلَابِداً مِنْ جُمَانِ

فَمَلَكَتِ الْقُلُوبَ فِي صِدْقِكَ الْحَزْ
رِ وَهَيَّجَتْ حَقْدَ كُلِّ جَبَانِ

وَرَأَاكَ الْكُفَّارُ طُوداً شُمُوخاً
وَرَأَوْا كَيْدَهُمْ مَضَى لِهَوَانِ

نَفْسُكَ الْحُرَّةُ الْأَبْيَةُ عَافَتْ
مَا أَسْأَلُوهُ مِنْ رَخِيسٍ فَانِي

وَتَعَالَتْ عَنِ الدُّنْيَةِ كَالشَّمْسِ
سِرّاً عُلُوقاً كَالنُّورِ فِي اللَّمَعَانِ



هَاجَ بِالْحَقْدِ مِنْ بُطُولَتِكَ الْعَبْدُ
وَنَارَتْ عَوَاصِفُ الشَّنَانِ

جَعَلُوهَا عَلَى يَدَيْكَ حَدِيداً
وَأَحَاطُوكَ بِالْقَنَا وَالسَّنَانِ

وَأَقَامُوا عَلَيْكَ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ
لِ سُجُوناً مَخْنُوقَةً الْجَذَرَانِ

وَسَيَّطَاءُ تَهَزُّ مِنْ مُخَصَّدَاتِ
هَآوِيَّاتِ كَالشُّهْبِ كَالنَّيِّرَانِ

فَإِذَا أَنْتَ بَيْنَهُمْ سَيِّدٌ حُرٌّ
رُّ حَوَالِيكَ عُصْبَةُ الْعُبدَانِ

وَتَلَفَّتْ هَازِئاً، وَتَهَاوَتْ
تَحْتَ عَيْنَيْكَ سَطُوءَةُ السُّلْطَانِ

وَالْخَفَافِيشُ مِنْهُمْ بِالزَّوَايَا
فَزَعَتْ مِنْ بَوَارِقِ الْإِيمَانِ

لَا نَ فِي كَفِّكَ الْحَدِيدُ كَمَا لَنَ
تَ عَلَى آيَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ



وَحَنَّا السُّوْطُ : خَفَقَهُ لَمَسَاتُ
مِنْ نَسِيمٍ يَحْنُو عَلَى الْأَغْصَانِ
وَأَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَارْفَةَ الظِّلِّ
لِ رِيَاضًا تَهْزُ مِنْ رَحْمَانِ
وَالْخُشُوعُ النَّدِيَّ آفَاقُ رُوحِ
حَانِيَاتٍ حَبِيَّةُ الْخَفَقَانِ

★ ★ ★

كَمْ أَرَادُوكَ لَوْ أَخَذْتَ الدَّنَايَا
لَوْ رَضِيتَ الْفَرِيدَ مِنْ تَيْجَانِ
هَزِئْتَ نَفْسُكَ الْعَظِيمَةَ مِنْهُمْ
دَفَعْتَ كَيْدَهُمْ إِلَى خُسْرَانِ
فَاتُوا يُرْهِبُونَ جِسْمَكَ بِأَلْمَوْ
تِ تَلَاقُوا عَلَى هَوَى وَهَوَانِ
وَأَقَامُوا لَكَ الْمَشَانِقَ أَعْوَا
دَا وَمَدُّوا جَبَائِلَ الْبُهْتَانِ
فَمَضَى! وَالْجَلَالُ يَخْفُقُ أَنْوَا
رَا وَهَبَّتْ رَوَائِحُ مِنْ جِنَانِ



وِظْلَالُ الْقُرْآنِ حَوْلَكَ أَفِيَا
ءُ وَأَنْدَاؤُهَا شَذَا الْإِحْسَانِ

وَتَبَسُّمَتْ حِينَ أَشْرَقَ فَجْرُ
وَأَطْلَتْ مِنْ الْخُلُودِ أَمَانِي

وَتَرَكْتَ الذَّلِيلَ يَقْتُلُهُ الْحَقُّ
لَدْ عَلَى مِرْجَلٍ مِنَ الْغَلِيَانِ

★ ★ ★

أَيْنَ فِرْعَوْنُ! وَالْعِصَابَةُ! وَالسُّو
ط...! وَذُلُّ الرِّفَاقِ وَالْأَعْوَانِ

هَلَكُوا فِي مَتَاهَةِ الشَّرِّ أَجِيَا
فَأَ وَحَلَّقَتْ فِي نَعِيمٍ حَانِي

وَتَعَالَى الْإِيمَانُ فِي رَوْعَةِ النَّصْرِ
رِ وَيُثَارِ جَنَّةِ الرَّحْمَانِ

كَمْ شَهِيدٍ مَضَى فَرَقٌ لَهُ السُّو
طُ وَلَانَ الْحَدِيدُ فِي تَحْنَانِ

كَمْ شَهِيدٍ مَضَى عَلَى خَفَقَاتِ
مِنْ صَلَاةٍ بِجَوْفٍ لَيْلٍ قَانِي



كَمْ شَهِيدٍ مَضَى فَخَفْتُ إِلَيْهِ أَلْ
حُورٌ بُشْرَى عَرَائِسٍ وَغَوَانِي

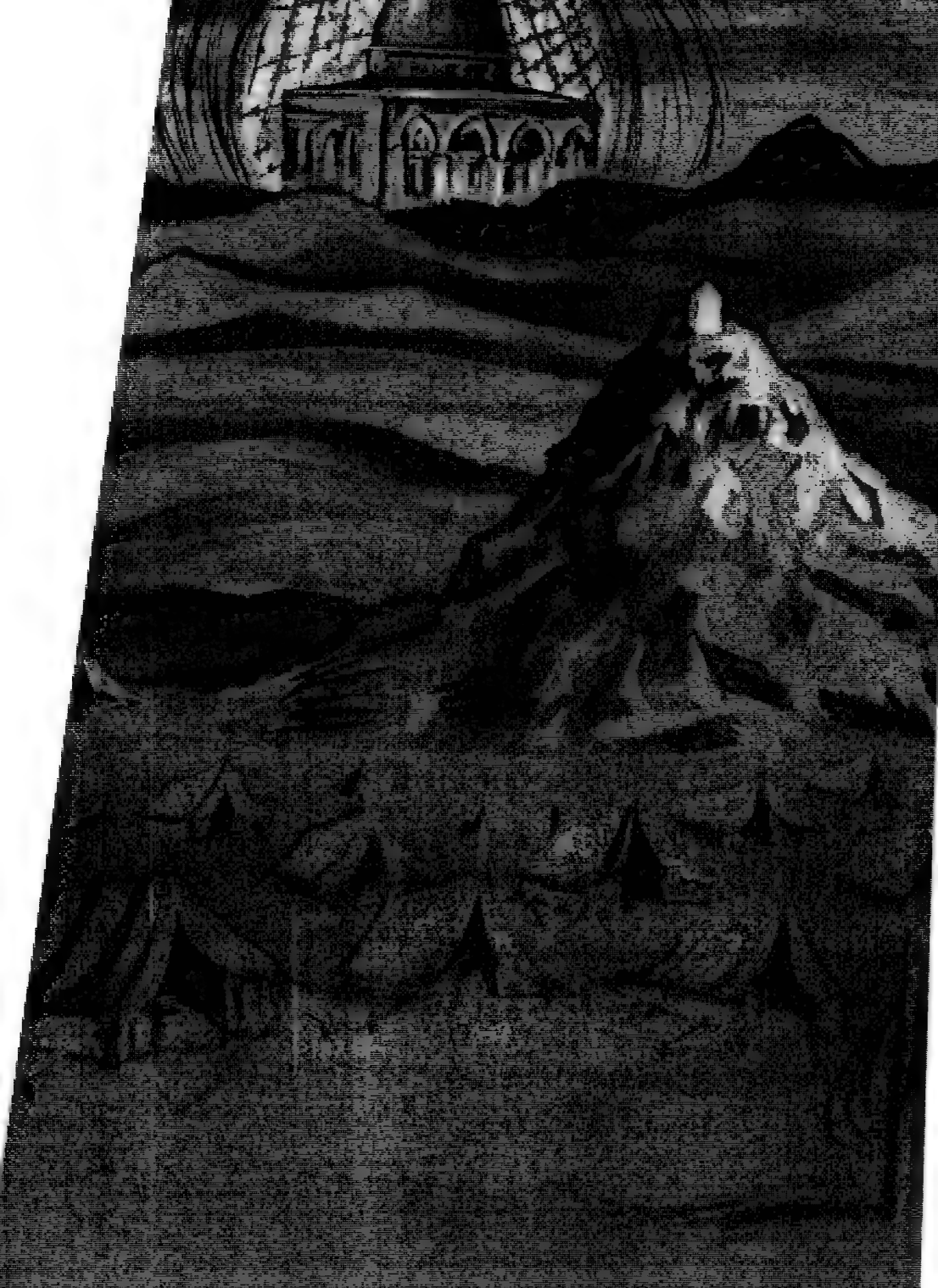
صَنَعْتُهُمْ مِنْ الْكِتَابِ تَرَاتِيدِ
لِ قِيَامٍ بِمَذْمَعٍ هَتَانِ

فَمَضَيْتُمْ مَعَالاً فِي طَرِيقِ
وَمَنَاراً لِلتَّائِبِ الْحَيْرَانِ

١٩٧٢

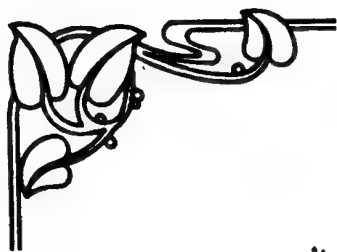
★ ★ ★

لحم يسوع في عرفات، لله ومعه



لحم يسرى في عرفات لله ومعه

يَا دَارَ مَا بِكَ! هَزَّكَ الْحَرَمَانُ
وَعَرَاكَ مِنْ ذِكْرِ الشَّهِيدِ حَنَانُ
فَكَأَنَّ أَرْضَكَ لَمْ تَعُدْ تَلْقَى الْفَتَى
يَمْضِي يُبَارِكُ شِلْوُهُ الرَّحْمَانُ
عَجَبًا! وَحَوْلَكَ عُصْبَةٌ عَطَافَةٌ
وَعَلَى رُيَاكِ مَصَارِعُ وَسِنَانُ
لَمْ تُرَوْ مِنْ دِمِهَا الرَّبِّيُّ أَيْنَ الْآلَى
سَبَقُوا وَكُلُّ جِهَادِهِمْ إِحْسَانُ
شَوْقٌ وَكُلُّ حِيَاضِهَا تَمْلُوءُ
وَجَوَى وَكُلُّ مَرَاكِهَا فِتْيَانُ



أَنَا مَهْبِطُ الْوَحْيِ الْكَرِيمِ وَسَاحَةُ الـ
مَسْرِى الْعَظِيمِ وَآيَةُ وَجَنَانُ

حَرَمٍ يُبَارِكُهُ الْإِلَهُ : رَحِيقُهُ
تَغْنَى بِهِ الذُّرُواتُ وَالْوُدَيَانُ

حَرَمٌ نَحْنُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَرْتَوِي
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَخَفِيقِهِ الظُّمَانُ

أَنَا مِنْ هُنَاكَ! جَلَّتْ مَرَابِعِي النُّبُو
وَةٌ وَالتَّقَتْ فِي سَاحِي الْفُرْسَانُ

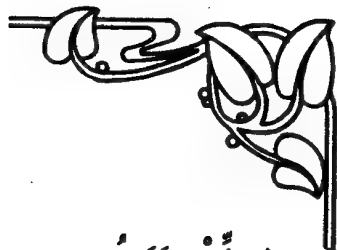
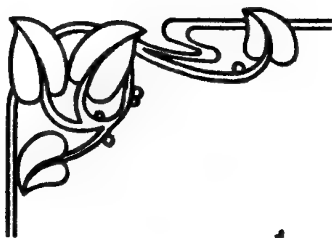
أَنَا مِنْ ثَرَى عَذَنِ طَوَيْتُ جَنَانَهَا
قُدْسًا وَمَكَّةَ ضَمَّهَا رِضْوَانُ

لَا أُرْتَضِي إِلَّا الدَّمَاءَ غَوَالِيًا
لِلَّهِ! يَصْدُقُ بَيْعَهَا الطُّعَانُ

تَجَلَّوْا مِنَ الْأَنْوَارِ ثَرٌّ نَجِيعُهَا
وَيَفِيزُ مِنْ رَيِّ الْقَنَا الْإِيمَانُ

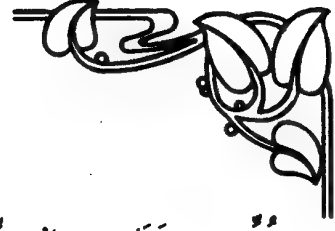
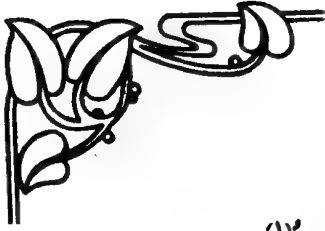
★ ★ ★

تَلَفْتُ الدُّنْيَا عَلَى سَاحَاتِهِ
وَتَغَضُّ مِنْ قَرِطِ الْأَسَى أَجْفَانُ



الذُّكْرِيَّاتُ الْخَالِيَّاتُ بَوَارِقُ
يَطْوِي لَوَامِعَ بَرْقِهِنَّ دُخَانُ
جَوْنُ تَلَفُ الدَّارِ فِي طَيَّابَهَا
وَمُورُ فِي أَحْشَائِهَا الْأَحْزَانُ
مَا أَرْعَدَتْ إِلَّا نُوَّاحَ مُصِيبَةٍ
وَالدَّمَعُ بَيْنَ سَوَادِهَا حَيْرَانُ
أَلَقْتُ بِكُلِّكِلِهَا بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ
وَمَضَتْ تَجْرُ ظِلَامَهَا الشُّطَّانُ
أُخِنْتُ مَنَائِرَهَا الْهَضَابُ تَفْجَعَا
وَنَكَى عَلَى فُرْسَانِهِ الْمِيدَانُ
وَتَشَعَّبَتْ دُونَ الظَّلَامِ مَسَالِكُ
شَتَّى وَكَانَ سَبِيلَنَا الْقُرْآنُ
وَتَبَعَثَرَتْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ رُؤْيَى
وَطَغَى عَلَى أَشْبَاحِهَا النُّسَيَّانُ

★ ★ ★



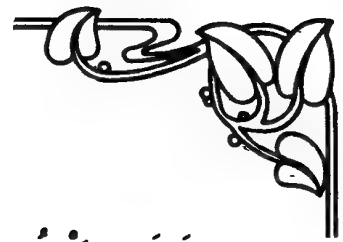
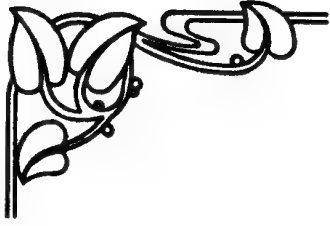
رُدِّي رَوَايَ الصُّينِ أَيْنَ قَتِيَّةٌ^(١)
وَالسُّورُ تَهْدُ حَوْلَهُ الْفُرْسَانُ
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ تُرَابِكَ حَفْنَةً
صِيدٌ يَجْرُ أَنْوْفَهَا الْإِذْعَانُ
لِيَدُوسَهَا وَيَبْرَ بِالْقَسَمِ الْعَظِيمِ
مِثْلَ وَتَنْشِي مِنْ كَفِّهِ الْإِحْسَانُ
فَإِذَا بِهِ يُلْقِي عَلَيْكَ مِنَ الْهُدَى
أَلْقَاً وَيَعْلُو بَعْدَ ذُلِّ شَانُ

★ ★ ★

وَالسُّنْدُ مَا لِلدَّاجِيَاتِ تَلْفُهُ
وَالذُّكْرِيَّاتُ عَلَى ذُرَاهُ أَذَانُ
رُدَّتْ إِلَيْهِ مِنَ اللَّيَالِي سُودُهَا
وَأَسْوَدُ بَعْدَ صَفَائِهِ مُهْرَانُ

رُدِّي رَوَايَ الْهِنْدِ أَيْنَ شَرِيعَةُ الرُّ
رَحْمَانٍ مِنْ سُلْطَانِهَا السُّلْطَانُ

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي الذي أخذ الجزية من ملك الصين وقد أقسم أن يدوس تراب الصين. وعندما خضع ملك الصين ودفع الجزية حمل بعض رجاله ترابا من الصين ليدوسه قتيبة ويبر بقسمه وذلك بحدود عام ٩٦ هـ.



كَمْ كَانَ يَبْقَى فِي دِيَارِكَ نُورُهَا
أَمْنًا! فَعَابَ فَأَيْنَ مِنْكَ أَمَانُ

فَقَطَّعْتَ مِنْكَ الرَّيِّ وَتَمَزَّقْتَ
مِنْكَ الرَّوْيَ وَتَنَائَرَ الْإِيوَانُ

★ ★ ★

دَارَ السَّلَامِ وَأَيُّ لَحْنٍ لَمْ يَكُنْ
شَكْوَى بِدَارِكَ إِنْ شَدَتْ بَغْدَانُ

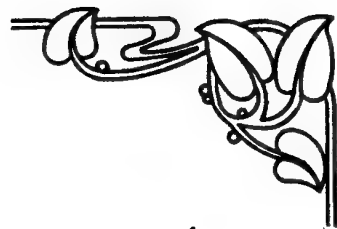
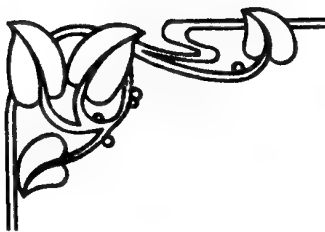
ذَكَرَى لِدِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ وَسَاحَةِ
غَنَاءٍ تَخْفِقُ عِنْدَهَا الْأَلْحَانُ

تَمْضِي رُيَّ الْأَرْدُنِّ بَيْنَ مِيَاهِهَا
ذَكَرَى يُعِيدُ رَوَاءَهَا الْجَرَيَانُ

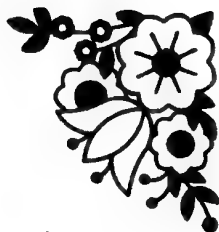
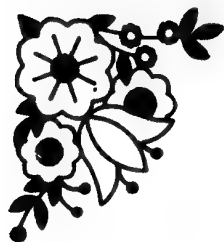
ذَكَرَى تَمُرٌ بِكُلِّ خَفَقَةٍ مَوْجَةٍ
أَوْ زَهْرَةٍ فَاحَتْ بِهَا عَمَّانُ

وَدِمَشْقُ تَطْوِيهَا الضُّلُوعُ صَبَابَةً
وَتَغِيبُ بَيْنَ جُفُونِي السُّودَانُ

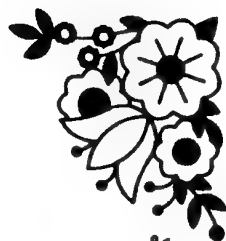
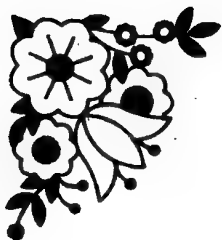
الْمَغْرِبُ الزَّاهِي أَرْدُ لِسَاحِهِ
طَرَفِي فِيَهْفُو لِقَا إِخْوَانُ



يَا تُونُسُ الْخَضْرَاءُ عَهْدِي بِالْهَوَى
صَافٍ وَعَهْدِي فِي الرَّئْيِ رِيحَانُ
مَا بَالُ زَهْرِكَ لَا يُرْفَرُ بِالنَّدَى
صُبْحًا وَلَا تَضْحَى بِهِ أَلْوَانُ
حَالَ الْهَوَى عَنْ عَهْدِ أَحْمَدَ وَارْتَحَتْ
مِنْكَ الْعُرَى وَتَبَدَّلَتْ أَزْمَانُ
لَوْلَا نَدَى الْإِيمَانِ مَا حَمَلَ الثَّرَى
نَبْتًا وَلَا غَنَّتْ بِكَ الْأَفْنَانُ
رَدِّي لِمَصْرَ إِذَا نَظَرْتَ لَيْلِيهَا
عُتْبَى لِمَنْ صُرِعُوا هُنَاكَ وَيَانُوا
الضُّفْتَانِ رُؤْيً يَضُمُّ شَتَاتَهَا
أَيْكَ وَتَطْوِي ذِكْرَهَا الْأَغْصَانُ
وَمَسَاجِدُ نَضْرُ الْهَوَى بِقِبَابِهَا
جُنَحِيهِ فَأَنْتَفَضَتْ لَهَا أَحْزَانُ
الذُّكْرِيَّاتُ عَلَى رُبَاهَا زَهْرَةٌ
فَيَطِيبُ عِنْدَ شَمِيمِهَا السُّلْوَانُ



مَا بَالُ أَنْدَلَسٍ تَجِفُّ وَرُودَهَا
شَجْنًا! أَصَوِّحُ عَنْدَهَا الْبُسْتَانَ
كَمْ كُنْتُ حَالِيَّةً وَكُلُّ حُلَاكِ مِنْ
وَمَضَى الْهُدَى وَقِلَادُكَ الْعِقْيَانُ
أَهْدَى لَكَ الْإِسْلَامُ أَغْلَى دُرَّةٍ
وَحَبَاكَ ثَوْبَ زَفَافِكَ الْإِيمَانُ
تَمْضِينَ وَالْأَيَّامُ تَنْثُرُ وَدَّهَا
طِيًّا فَتَنْفُضُ عِطْرَهَا الْأَزْدَانُ
مَجْلُوءَةً! وَلِطَارِقٍ مِنْكَ الْهَوَى
تَهْوِي وَتُصْرَعُ دُونِكَ الْأَقْرَانُ
يَهْدِي لَكَ الْأَمْجَادُ مِنْ أَنْصَالِهِ
وَتُصَاغُ مِنْ أَتْجَادِكَ التُّيْجَانُ
رُدِّي عَلَيَّ مِنَ الْهَوَى وَحَنَانِهِ
كَمْ كَانَ يَخْلُو مِنْ هَوَاكِ حَنَانُ
رَدَّتْ رَوَابِيكَ الْوَشَاحَ وَأَغْمَضَتْ
عَيْنًا وَقَرَّحَ جَفْنَكَ الْأَشْجَانُ



تَمْضِي بِسَاحَتِكَ أَهْمُومٌ تَثَاقُلًا
وَتَكَادُ تَسْمَعُ خَطْوَهَا الْآذَانُ

تَتَقَلَّبُ الْأَحْلَامُ فِي رَبَوَاتِهَا
وَيَكَادُ يُوقِظُهَا رُؤْيُ وَطِعَانُ

تَتَلَمَّسُ الْعَيْنَانِ بَيْنَ رُسُومِهَا
صُورًا فَيَقْلَتُ لِلْخِيَالِ عِنَانُ

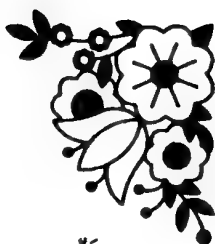
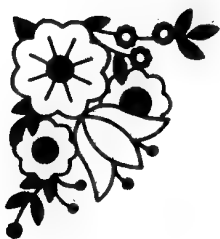
فَإِذَا رُسُومُكَ يَا دِيَارُ شَوَاحِصُ
نَفَضْتَ غُبَارَ سِنِينِهَا الْفُرْسَانُ

نَهَضَتْ وَفِي الْكَفِّينَ بَرَقَ نُصُوبُهَا
خَطَفَتْ وَبَيْنَ ضُلُوعِهَا الْقُرْآنُ

وَتَلَفَّتْ وَالشُّرُقُ بَيْنَ عَيْونِهَا
وَالشُّوقُ رَقٌّ وَهَاجَهُ التُّحْنَانُ

وَتَلَفَّتْ الْأَقْصَى وَبَيْنَ جُفُونِهِ
دَمْعٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ نِيرَانُ

يَتَنَاجِيَانِ وَكُلُّ نَجْوَى حُرْقَةٍ
وَلَظَى يَزِيدُ أَوَارَهُ الْحَدَثَانُ



لَا تَلْتَقِي الْعَيْنَانِ إِلَّا وَالْذَّمَا
هَبُّ وَكُلُّ بِطَاحِهِ بُرْكَانُ

★ ★ ★

يَا لَوْعَةَ الْأَقْصَى! وَدَوْتُ صَرْخَةً
يَطْوِي صَدَاهَا ذِلَّةٌ وَهَوَانُ

أَيْنَ التُّقَاةُ! وَمَا تَقُومُ بَايَةً
إِلَّا وَكَانَ صَدَى الْقِيَامِ سِنَانُ

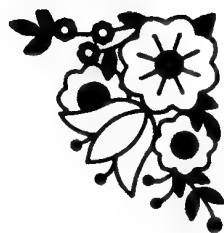
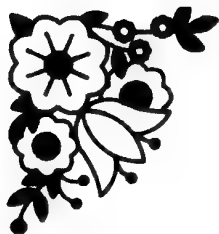
نَحْنِي الرُّؤُوسَ لِذِي الْجَلَالَةِ سُجْدًا
وَيَمُدُّ مِنْ عَلَيَّاتِهَا الْمِيدَانُ

مَهْوَى الْقُلُوبِ وَلَيْتَهَا إِذْ أَقْبَلَتْ
أَهْوَتْ بِسَاحِكٍ مِنْهُمْ الْمِرَانُ

يَا لَوْعَةَ الْأَقْصَى وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ
نَارٌ وَفَوْقَ قَبَابِهِ عُذْوَانُ

نَارٌ يَمُدُّ الْحَفْدُ كُلَّ أَوَارِهَا
وَوَقُودُهَا الْأَنْجَادُ وَالتَّيْجَانُ

وَالْمَنْبَرُ الدَّائِي عَلَى دَرَجَاتِهِ
خَطُوهُ الْكُفَاةُ إِذَا عَلَتْ وَأَذَانُ



يَتَفَجَّرُ التَّارِيخُ مِنْ أَحْشَائِهَا
شَرَّارًا وَتَنْشُرُ بَيْنَهُ الْقِيَعَانُ

★ ★ ★

وَتَلَفَّتْ الْأَقْصَى لَمَكَةً لَوَعَةٍ
أُخْتَاهُ! تَنْهَشُ أَضْلَعِي الْغِرْبَانُ
أُخْتَاهُ! أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ وَحَشْدُهُمْ
أَيْنَ الْمَلَائِكَةُ الْغُثَاءُ! أَهَانُوا؟

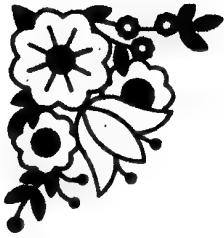
أُخْتَاهُ! وَانْقَطَعَتْ جِبَالُ نِدَائِهِ
وَاعْرَوْدَقَتْ مِنْ دَمْعِهِ الْأَجْفَانُ
وَهَوَتْ مَعَاوِلُ كَيْ تَذُقُ حِيَاضَهُ
وَهَوَتْ عَلَى أَجْمَادِهِ الْجُدْرَانُ

★ ★ ★

الْقِبْلَتَانِ مَرَابِعُ مَوْصُولَةٍ
دَرَجَتْ عَلَى سَاحَاتِهَا الْفِثْيَانُ

الْقِبْلَتَانِ يَمْوُجُ بَيْنَهُمَا الْهَدَى
نُورًا وَيَخْشَعُ عِنْدَهُ الْإِنْسَانُ

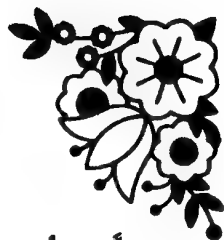
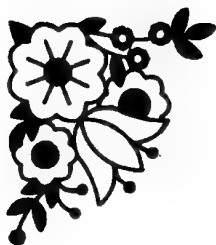
الْقِبْلَتَانِ وَكُلُّ رَابِيَةٍ لَهَا
حَرَمٌ وَكُلُّ شِعَابِهِ أَكْنَانُ



يَهْدِي الْحَمَامُ إِلَى الشُّعَافِ هَدِيْلَهُ
وَيَرُدُّ جُنْحِيْهِ رَضَى وَأَمَانُ
وَيَضُمُّ بَيْنَهُمَا ظِلَالُ نُبُوَّةٍ
وَالصَّاحِبِينَ فَطَابَ مِنْهُ مَكَانُ
وَالْكَعْبَةُ الْغَرَاءُ بَيْنَ حَجِيْجِهَا
نُورٌ وَتَحْتَ ظِلَالِهِ رُكْبَانُ
تَقْطَعُ الْأَيَّامُ مِنْ أَحْدَائِهَا
وَحَجِيْجُهَا مُتَوَاصِلُ رِيَانُ
يَسْعَى وَمَا ظَمًا بِهِ، وَبِهَاجِرِ
ظَمًا الرُّبَى وَرَضِيْعُهَا ظَمَانُ
أَجْرَى لَهَا الرَّحْمَانُ زَمْزَمَ آيَةٌ
فَابْتَلَتْ السَّاحَاتُ وَالْأَزْمَانُ
وَجَرَى بِكُلِّ عُرْوِقِهَا مِنْهُ هَوَى
وَصَفَتْ عَلَى جَنَابِهَا الْغُذْرَانُ

★ ★ ★

أَمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَالْبَيْتِ الْعَتِي
قُ هُدَى وَأَيَاتُ لَهُ وَيَا نَ



الطَّائِفُونَ الرَّائِعُونَ لِرَبِّهِمْ
خَفَقَتْ قُلُوبُهُمْ وَضَجَ لِسَانُ

تَزَاحُمُ الْأَقْدَامُ فِي سَاحَاتِهِ
وَتَرَفُّ بَيْنَ ظِلَالِهِ الْأَبْدَانُ

وَمِنَى صَدَى رَبَوَاتِهَا التَّوْحِيدُ وَالْتِ
تَكْبِيرُ وَالْإِخْبَاتُ وَالْإِذْعَانُ

عَرَفَاتُ سَاحَاتٍ تَضِجُ وَرَحْمَةٌ
تَغْشَى وَدَمْعٌ بَيْنَهَا هَتَّانُ

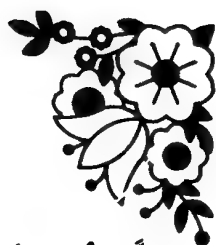
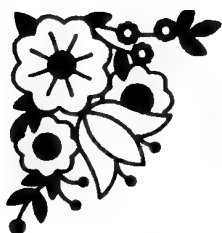
لَبَّيْكَ يَا أَللهُ! وَأَنْطَلَقَتْ بِهَا
رُسُلٌ وَفَوَّحَتْ الرُّبَى وَجَنَانُ

لَبَّيْكَ وَالْدُّنْيَا صَدَى وَالْأَفْقُ يَرُ
جَعُهَا نَدَى يَتَلُّ مِنْهُ جَنَانُ

لَبَّيْكَ وَخَدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ الرِّضَا
الْخَيْرُ مِنْكَ بِبَابِكَ الْإِحْسَانُ

★ ★ ★

لَبَّيْكَ، وَالتَّفَتَ الْفُؤَادُ وَدَارَتْ أَلْ
عَيْنَانِ وَأَنْفَلَتَتْ لَهَا الْأَشْجَانُ



دَقْتُ قَوَارِعُهَا الدِّيارَ فزُلْزَلْتُ
تَحْتَ الحُطى الأَرِاضُ والأَرْكانُ
جَمَعْتُ مَرَامِيهِ البِلادَ فَمَشَرْتُ
غَافٍ وَغَرَبُ لَفَهُ النُّسيانُ

★ ★ ★

أَيْنَ الحَجِيجُ! وَكُلُّ قَلْبٍ ضَارِعُ
وَمَشَارِفُ الدُّنيا لَهُ آذانُ

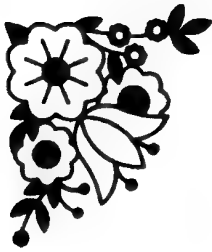
نَزَعُوا عَنِ السَّاحَاتِ وَأَنْطَلَقَتْ بِهِمْ
سُبُلُ وَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ بُلْدَانُ

وَطَوَتْهُمْ الدُّنيا بِكُلِّ ضَجِيجِهَا
وَهَوَى يَمَرِّقُ شَمْلُهُمْ وَهَوَانُ

وَمَضَى الحَجِيجُ كَأَنَّهُ مَا ضَمَّهُمْ
عَرَفَاتُ أَوْ حَرَمُ لَهُ وَمَكَانُ

بِالْأَمْسِ كَمْ لَبَّوا عَلَى سَاحَاتِهِ
بِالْأَمْسِ كَمْ طَافُوا هُنَاكَ وَعَانُوا

عَرَفَاتُ سَاحَاتُ يَمُوتُ بِهَا الصُّدى
وَتَغِيبُ خَلْفَ بِطَاحِهِ الأَلْوَانُ



لَمْ يَتَّقْ فِي عَرَفَاتٍ إِلَّا دَمْعَةً
سَقَطَتْ فَبَكَتْ حَوْلَهَا الْوُدَيَانُ

هِيَ دَمْعَةُ الْإِسْلَامِ يَلْمَعُ حَوْلَهَا
أَمَلٌ وَتَهَرَّقُ بَيْنَهَا الْأَحْزَانُ

* * *

يَا أُمَّةَ الْقُرْآنِ دَارُكَ حُلُوءَةٌ
مَا طَوَّفَتْ ذِكْرِي وَهَاجَ حَنَانُ

مَغْنَاكَ مَنْشُورُ الْأَزَاهِرِ كُلِّهَا
عَبَقْتُ إِذَا خَضِرَتْ بِهِ الْعِيدَانُ

لَا أَنْتَقِي مِنْ غَرْسِ رَوْضِكَ زَهْرَةً
إِلَّا وَكَانَ عَابِرَهَا الْإِيْمَانُ

يَشْكُوكُمْ! وَيَشْكُوكُمْ كُلُّ مَنْ عَرَفَ الْهَوَى
أَوْ هَاجَهُ مِنْ طَرْفِكَ الْحَرَمَانُ

ذَبَلَتْ أَزَاهِيرُهُ وَصَوَّحَ رَوْضُهُ
وَنَكَى عَلَى أَطْلَالِهِ السُّكَّانُ

* * *

يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ قَدْ عَظُمَ الْبَلَا
وَارْتَدَّ فِي سَاحَاتِكَ الطُّغْيَانُ



أَقْلَتُ حَبْلَ اللَّهِ وَارْتَحَتِ الْعُرَى
وَجَرْتُ عَلَى سَاحَاتِكَ الْقِطْعَانَ

وَهَجَرْتُ قُرْآنًا وَسُنَّةَ أَحْمَدِ
يَا وَيْلَ مَنْ يَنَأَى بِهِ الْهَجْرَانُ

لَوَيْتَ عَنْهُ الطَّرْفَ فَانْتَفَضَ الْأَسَى
يَلْوِي زِمَامَ قِيَادِكَ الشَّيْطَانُ

لَوْتُ بِكَ الْأَيَّامَ فِي خَوَاطِئِهَا
وَرَمَاكَ يَنُّ ضُرُوسِهِ الْعِضْيَانُ

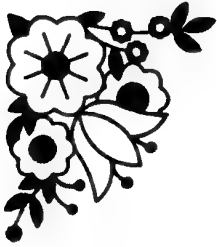
دَارَتْ بِكَ الْآثَامُ مَوْجًا عَارِمًا
وَهَوَى بِقَاعِ صَدِيدِهَا الشُّبَّانُ

وَنَبَا عَنِ السَّاحَاتِ عِلْمُكَ وَأَنْطَوَى
ثَوْبٌ يَلُمُّ ذُبُولَهُ الْخُسْرَانُ

* * *

يَا أُمَّةَ الْقُرْآنِ أَبْنُ شَمَائِلٍ
زَهَرَتْ بِهَا دَارٌ وَعَزُّ مَكَانُ

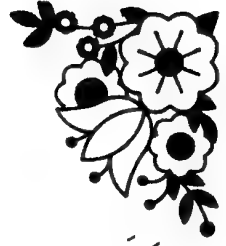
أَطَوَيْتَ مِنْ خُلُقِ الرَّسُولِ صَحَائِفًا
عَطَّرْتَ فَعَطَّرَ ذِكْرَهَا الْقُرْآنُ



خُلِقَ الرُّجَالِ مَعَادِنُ لَكَ يُنْتَقَى
مِنْ بَيْنَهَا الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ
فَرَمَيْتُهَا خَلْفَ الظُّهُورِ وَرُمْتَ مَا
تَشْقَى بِهِ الْأَجْيَالُ وَالْأَوْطَانُ
وَأَخَذْتَ مِنْ كُلِّ الشُّعُوبِ ضَلَالَةً
فَرَمَاكَ فِي ظُلُمَاتِهِ الْكُفْرَانُ
أَلْقَيْتَ بِسَاحَتِكَ الدِّيَارُ ضَرِيعَهَا
فَحَسِبْتَ أَنَّ ضَرِيعَهَا الرِّيحَانُ

★ ★ ★

أَصْحَابَ أَحْمَدَ! أَيْنَ مِنَّا جَوْلَةٌ.
بَرَقَتْ عَلَى رَهَجِ الْقَنَا الشُّهْبَانُ
أَكْتَائِبَ الرَّحْمَانِ أَيْنَ رِسَالَةٌ
فَتَحَتْ قُلُوبَ الْعَالَمِينَ فَذَانُوا
قَوْمِي انْظُرِي الْأَحْفَادَ! كَيْفَ نَفُوسُهُمْ
هَانَتْ عَلَيْهَا الْمَكْرُمَاتُ فَهَانُوا
رُدِّي عَلَيْنَا مِنْ هَذَاكَ وَلَقِّنِي
شَرْفًا: حِيَاضُ الدِّينِ كَيْفَ تُصَانُ



وَضَعِي عَلَى الْكَفَّيْنِ بَارِقَ صَارِمٍ
لِلَّهِ! تَهْوِي دُونَهُ الْأَوْثَانُ

وَأَجْلِي الْقُلُوبَ بِفَيْضِ نُورِ مُحَمَّدٍ
لَا الشُّرُكَ بَيْنَ شِعَافِهَا وَالرَّانُ

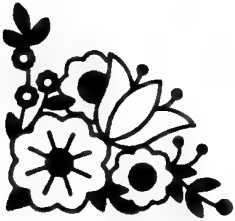
هَلَّا أَعَدْتُ إِلَى الرَّئِيِّ يَرْمُوكَهَا
وَالشَّاطِئَانِ مِنَ الدَّمَاءِ دِهَانُ

هَلَّا أَعَدْتُ إِلَى الْقُلُوبِ يَقِينَهَا
وَالْبُشْرِيَّاتُ نَوَاضِرُ وَجَنَانُ

عَهْدُ مَعَ الرَّحْمَانِ أَوْفَى حَقُّهُ التَّ
تَوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ

١٩٧٢

★ ★ ★



إلى روح الشاب المؤمن المجاهد الذي نزع عن أرض فلسطين،
إلى السجون إلى هنا وهناك يعمل ويجاهد ففُضِيَ هناك في ريعان
شبابه واخضرار جهاده.

الشهيد

رَجْعِي يَا رِمَالُ مِنْ أَلْحَانِهِ
وَأَعِيدِي الْقَصِيدَ فِي مَهْرَجَانِهِ
مَوْكِبُ شَقٍّ فِي بَوَادِيكَ أَمَا
لَا وَمَدَّ النَّدَى مِنْ رَنَحَانِهِ
يَنْشُرُ الطَّيْرُ مِنْ ظِلَالِ جَنَاحِهِ
هَ وَهَوَى السَّحَابُ طِيبَ مَكَانِهِ
يَا رِمَالُ الصَّخْرَاءِ دُونِكَ رَوْضُ
رَقٍّ فِي ظِلِّهِ وَخَفَقَةِ بَانِهِ
أَيْنَ مِنْهُ الْهَجِيرُ وَالظُّلُّ تَمْدُو
دُ وَهَذَا الرَّبِيعُ فِي رَتَعَانِهِ

فَاهْتَشِي يَا رَمَالُ! ضُمِّي شَذَاهُ
وَأَنْشُرِي الطُّيْبَ أَكْرِمِي مِنْ شَانِهِ

إِنَّهُ وَمَضَّةُ الشُّبَابِ بَرِيقُ
غَابَ تَطْرِي الْأَفَاقُ مِنْ لَمَعَانِهِ
حَلَّ فِي رَوْضَةٍ فَأَغَمَّتْ عَلَيْهِ
أُمْنِيَّاتُ خَفَقْنَ مِنْ وَجْدَانِهِ

رَوْضَةٌ. الْحَقُّ! وَالشُّبَابُ أَزَاهِي
رُ وَطِيبٌ يَرِفُ مِنْ أَغْصَانِهِ
لَمْ تَزَلْ تَنْتَقِي يَدُ الْحَقِّ مِنْهَا
وَرْدَةً بَعْدَ وَرْدَةٍ لِحَنَانِهِ

هِيَ عُقْبَى الْإِيْمَانِ، غَايَةُ آجَا
لِ، سِبَاقُ يَعِجُ مِنْ فُرْسَانِهِ
قَلْبِيْبٌ مَاضٍ يَرُدُّ هَوَى النِّفْ
سٍ وَيَرْتَادُ مُمَسِكَأً بِعِنَانِهِ
وَجْهُهُوْلٌ تَاهَتْ عَلَيْهِ أُمَانِي
بِهِ وَالْقَتَّةُ فِي خِضْمٍ افْتِنَانِهِ

غَيْرَ أَنَّ الْفِرَاقَ لَوَعَةُ أَكْبَا
 دِ وَجَمْرٌ يَزِيدُ مِنْ حَرَّانِهِ
 دَمْعَةٌ لَمْ تَجِفْ مِنْ أَمْسِي الْغَا
 بِرِ قَلْبٌ مَا زَالَ فِي خَفَقَانِهِ
 كَمْ تَرَانِي شَيَّعْتُ مِنْ صَاحِبٍ أَوْ
 مِنْ خَلِيلٍ أَوْفَى عَلَى خِلَانِهِ
 وَظَنَنْتُ الدُّمُوعَ جَفَّتْ عَلَيْهِ
 وَالْمَاسِي نَامَتْ عَلَى أَحْزَانِهِ
 وَإِذَا بِالْقَضَاءِ أَسْرَعُ مِنْ ظَنِّ
 بِنِ وَأَمْضَى فِي حَدِّهِ وَسِنَانِهِ
 وَإِذَا بِالصَّابِ أَغْظَمُ مِنْ دَمِ
 عٍ وَأَقْسَى مِنَ الْأَسَى أَوْ بَيَانِهِ
 جَامِحٌ فِي الضُّلُوعِ يَقْطَعُ أَحْنَا
 ءَ وَيَقْرِي الْكُبُودَ فِي حَدَثَانِهِ
 * * *
 حَمَلَتْهُ الْوُرُودُ وَالطَّيْبُ فَوًّا
 حُ وَرَفَّ النَّدَى عَلَى أَكْفَانِهِ

وَالْأَمَانِيُّ حَوْلَهُ صَادِقَاتُ
وَرَجَاءُ بِاللَّهِ فِي غُفْرَانِهِ
مَا تُمَدُّ الْأَكْفُ إِلَّا لَتَلْقَى
مِنْ شَدَا مُنْعَمٍ عَلَى جُثَامِهِ

شَيَعَتِكَ الْعُيُونُ وَالْغُصَّةُ فِي النَّفْسِ
سِرِّ وَأَرْخَى الْقَوَادُ دَفَقَ حَنَانِهِ

فَمَضَى! وَابْتَسَامَةُ الشُّغْرِ إِشْرًا
قُ وَنُورٌ يَفِضُ مِنْ كَتَمَانِهِ

أَيُّ نَجْوَى سَرَتْ مِنَ الْقَبْرِ فِي هَذَا
أَةِ لَيْلٍ غَافٍ عَلَى أَحْزَانِهِ

وَالسُّكُونُ الرَّهِيْبُ! فَانْتَفَضَ اللَّيْلُ
لُ وَأَضْغَى لِآيَةٍ مِنْ بَيَانِهِ

مَكْرُمَاتُ الْإِيْمَانِ مُعْتَزُّكَ الْحَقِّ
قِي خِضْمٌ يَمْوُجُ فِي مِيدَانِهِ

أَيْنَ «لِيْمَانُ» وَالْمَوَاكِبُ أَمْوَا
جُ جِهَادٍ هَزَزْنَ مِنْ بُنْيَانِهِ

وَجُنُونُ السَّيَاطِ يُبْرِقُ فِي اللَّيْلِ
لِ شَقُّ الظُّلَمَاءِ عَنْ طُغْيَانِهِ

صَابِرًا وَالسَّيَاطِ مَزَقَهَا الصَّبْرُ
رُ وَأَعْيَاهَا مِنْهُ ثَبَّتْ جَنَانَهُ

بَيْنَ نَزْرِ الْقُرُوحِ أَوْ عَضَةِ السَّوْطِ
طِ خُشُوعُ يَزِيدُ مِنْ إِيْمَانِهِ

وَالنَّدَى وَالْإِتْعَاشُ الرُّوحَ وَالْأَمْنُ
بِ وَهْدِي الظَّلَالُ مِنْ قُرْآنِهِ

عَالَمٌ طَيِّعٌ الْأَمَانِيُّ عُلُوِّ
يِ نِدَاءَاتُهُ عَلَى أَجْفَانِهِ

أَيْنَ سَاحَاتُهُ وَأَيْنَ صَدَاهَا
غَابَ مِنْهَا الصَّدى عَلَى جُذْرَانِهِ

يَا قَصِيَّ الْمَزَارِ يَا نَائِي الدَّاءِ
رِ وَيَا لَاجِئًا إِلَى رَحْمَانِهِ

أَيُّ ظِلٍّ أَهْدَى إِلَيْكَ مِنَ الطِّ
لِ وَأَرْخَى النَّدَى مِنْ أَفْنَانِهِ



إِنَّهُ مِنْ رُبِّي دِيَارَكَ حَنْتَ
لِمَحْيَاكَ فَالتَقْتَ بِحَنَانِهِ
كَمْ بَكَى مَنْزِلُ مُدْمَى أَسَاهُ
وَشَكَا قَهْرُهُ وَطُولَ هَوَانِهِ
مَنْ لِهَذَا النَّدَاءِ قَدْ قَرَعَ الْأَفْ
قَ وَدَقَّ الْقُلُوبَ فِي عُنْفُونِهِ
غَابَ فِي حِمَاةِ الْغَوَايَاتِ أَقْوَا
مُ وَصَمُّوا الْأَذَانَ عَنْ أَشْجَانِهِ
فَاضْبِرِي يَا دِيَارُ! وَالْحَقُّ غَرْسُ
كُلِّ غَرْسٍ يَطِيبُ عِنْدَ أَوَانِهِ
يَعْتَلِي سِرْوَةً الْمُرُوءَاتِ يَطْوِي
مِنْ جَنَاهَا مَنْ عَزَّ فِي أَيَّانِهِ
مُؤْمِنٌ مَدَّ لِلْعَقِيدَةِ مِيدًا
نَا وَكَانَ الْجِهَادُ زَهُوَ زَمَانِهِ

١٩٧٤

★ ★ ★



رجل أنعم الله عليه بهال ومنصب فالتفت حوله الخلان . ثم
حال الزمان ، وابتلاه الله بعسر ومرض ، وانقض من حوله
الكثيرون إلا العدد القليل .

الرب

أَيُّهَا الشَّاكِي بَانَاتِ السَّقَمِ
هَلْ هَوَى الصَّبْرُ وَخَانَكَ الْهِمَمُ
وَأَنْتَهَتْ فِي جَسْمِكَ الْوَاهِي قُوَى
وَأَسْتَوَى عِنْدَكَ يُسْرٌ وَالْمُ

كَمْ مَشَتْ مِنْ حَوْلِكَ الدُّنْيَا وَكَمْ
كُنْتَ تَلْقَى عِنْدَهَا حُلُو النِّعَمِ
وَرَأَيْتَ الْعُمَرَ يَطْوِي بَعْضَهُ
بَيْنَ أَفْرَاحٍ وَطِيبٍ وَنَغَمِ

أَتَعِيشُ الْيَوْمَ فِي عَهْدٍ مِضَى
وَيَعُضُّ الْقَلْبُ أَنْيَابُ النَّدَمِ



أَمْ تُرَى انْسَبَتْ مَعَ الْأَخْلَامِ فِي
لَوْعَةِ الذُّكْرِى وَعَهْدٍ لَمْ يَدُم

كَأُسْكَ الثُّرَّةُ رَوَى مَاؤَهَا
مِنْ حَوَالِيكَ أَنْسَاءُ! كَمْ وَكَمْ

بَيْتِكَ الرَّحْبُ اخْتَمَى فِي ظِلِّهِ
صَاحِبٌ كَمْ صَاحِبٍ فِيهِ اغْتَصَمُ

لَمْ تَكُنْ تَلْقَى لَدَى عَرْضَاتِهِ
لَكَ، لَوْ شِئْتَ، سَرِيراً أَوْ قَدَمَ

وَتَرَى الْخِلَانَ كَمْ بَشُوا لَدَى
ظِلِّكَ الْوَارِفِ! كَمْ ثَغْرٌ بَسَمَ

وَمَضَى الدَّهْرُ وَغَابَتْ نَعْمُ
وَطَوَى الْعِزُّ بِأَثْوَابِ السُّقْمِ

جَفَّتِ الْكَأْسُ وَضَاقَتْ سَاحَةُ
أَيْنَ خِلَانُكَ أَرْتَابُ الشُّمَمِ

وَأَنْشَى مِنْ حَوْلِكَ النَّاسُ فَمَا
مِنْ صَدِيقٍ مُشْفِقٍ أَوْ ذِي رَحِمِ



عَفَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَصْحَابِهَا
وَمَضَتْ قِصَّتُهُمْ تَتْلُو الْحَكَمَ

فَإِذَا تَضَحُّو عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَا
أَيُّهَا الصَّاحِبُ! فَلَا تَضَحُ وَنَمْ

نَهَضَ الشَّيْخُ عَلَى أَسْقَامِهِ
يَذْفَعُ الْأَنَّةَ مِنْ كِبِدٍ وَفَمْ

قَالَ : مَا الْعِزَّةُ إِلَّا لِلَّذِي
صَدَقَ اللَّهُ وَأَوْفَى بِالذِّمَمِ

لَا بِهَالٍ عِزُّنَا أَوْ مَنْصِبُ
يُورِثُ الذُّلَّ وَغَضَاتِ النَّدَمِ

لَمْ يَزَلْ حَوْلِي إِخْوَانُ أَهْلِي
صُحْبَةَ الْحَقِّ وَعَهْدًا مَا انْفَضَمَ

١٩٥١



لن المحوى هو أسرار الجهرلاء

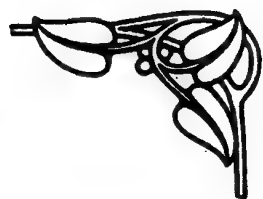
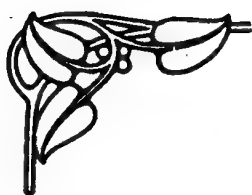
كَاتِمٌ فُؤَادَكَ عَنْ هَوَىٰ لِيْطْبَاءِ
وَأَنْشُدْ مَطَالِعَ رَفْعَةٍ وَعَلَاءِ

وَاعْنَمْ بِمَطْلَعِهَا فَلَيْسَ لِيْطَالِعِ
فَلَكَ الدَّوَامُ وَطِيلَةُ لِبَقَاءِ

وَاعْنَمْ إِذَا سَمَحَ الزَّمَانُ بِفُرْصَةٍ
فُرْصُ تَطُلُّ وَتَنْتَهِي لِحَقَاءِ

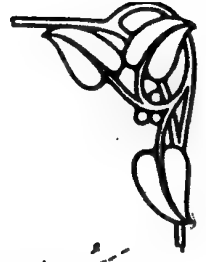
يَبْدُو إِلَيْكَ الْحَظُّ وَهُوَ مُقَلَّبُ
كَتَقَلَّبُ الْأَنْوَارِ فَوْقَ الْمَاءِ

أَمَلٌ تَظَلُّهُ الْأَهْمُومُ كَأَنَّهُ
شَمْسٌ وَرَاءَ سَحَابَةٍ دَكْنَاءِ



فَاضْبِرْ لَعْلَ الدَّهْرِ يَا ذُنْ بُرْمَةٍ
وَبَعْدُ لِلْأَمَالِ يَوْمَ لِقَاءِ
وَاضْبِرْ عَلَى غُصَصِ الزَّمَانِ وَصَرَفِهِ
وَهُبُوبِ عَاصِفَةٍ مِنَ الْأَنْوَاءِ
وَالدَّهْرِ يُلْقِي لِلْأَنَامِ مَوَاعِظًا
هِيَ هَاتِ مُذْرِكُ خُطْبَةِ الْأَرْزَاءِ
خُطِبُ الزَّمَانِ بِخُطْبِهِ فَكَأَنَّمَا
خُطِبَ الزَّمَانُ كَأَبْلَغِ الْخُطَبَاءِ

وَالنَّاسُ إِنْ عَصَفَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ
وَأَتَى يَكْرُ بِحِمْلَةٍ هَوَجَاءِ
يَتَصَارَعُوا إِذْ لَا تَرَى مِنْ سَائِلِ
عَنْ خُلَّةٍ أَوْ مُثَبِّتٍ لِبِنَاءِ
شَرِبْتَ نَفْسَهُمُ الْخِدَاعُ فَمَا لَهُمْ
غَيْرُ الْخِدَاعِ وَسِيلَةَ لِنَجَاءِ
لَا يَتَغَفَّوْنَ مِنَ الْحَيَاةِ سِوَى هَوَى
إِنَّ الْهَوَى هُوَ أَسْرُ الْجَهْلَاءِ



تَرْكُوا حِمَى الرَّحْمَنِ وَانْقَادُوا إِلَى
شَيْطَانِهِمْ بِمَذَلَّةٍ وَرِضَاءٍ

لَا تَيْأَسِي يَا نَفْسُ إِنَّ عَبَسَ الزَّمَا
نُ فَمَا الْقُنُوطُ بِمُذْهَبِ الْبَأْسَاءِ
أَنْتِ الْعَزِيزَةُ : هَلْ يُرَدُّ بِنَظَرَةٍ
أَسَدٌ وَتُخَدَعُ بِأَبْتِسَامٍ مُرَائِي

١٩٤٤

★ ★ ★



عزة للعريان

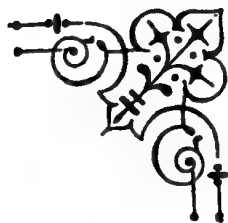
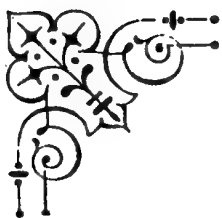
أَرَى اللَّيْلَ غَارَتْ فِي السَّمَاءِ كَوَاكِبُهُ
فَغَارَ فُؤَادِي وَالْهُمُومُ نَوَادِبُهُ

أَنَا ابْنُ هُمُومِ الدُّمْرِ حِينَ تَمَخَّضَتْ
مَصَائِبُهُ عَنْ عُسْرَةِ وَنَوَائِبُهُ

تَسَرَّيْتُ جِلْبَاباً مِنَ الصَّبْرِ ضَافِياً
وَلِلصَّبْرِ جِلْبَابٌ تَطُولُ ذَوَائِبُهُ

أَسِيرُ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّجَى
وَأَحْدُو رِكَابِي حَيْثُ تَبْدُو مَضَارِبُهُ

وَلِي رَائِدٌ يَحْدُو رِكَابِي لِلْعَلَا
وَيَبْغِي مَنَالاً قَدْ تَعَزُّ مَرَاتِبُهُ



وَمَا يَثْسِتْ نَفْسِي الطُّمُوحَةُ إِذْ رَأَتْ
عَلَى الْأَفُقِ جَوْناً قَدْ تَعَكَّرَ جَانِبُهُ

وَلِي هِمَّةٌ مَا فَلَّ غَرْبٌ^(١) مَضَائِبَهَا
زَمَانٌ إِذَا جَارَتْ عَلَيْهَا مَضَائِبُهُ

فَلِي عِزَّةٌ الْإِيْمَانُ أَغْلَى مَرَامِهَا
جِنَانٌ! فَانْعِمِ بِالَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

أَغَابَ زَمَانٌ كَانَ يَحْلُو دَوَامُهُ
وَجَاءَ زَمَانٌ لَا تُعَدُّ مَعَايِهُ

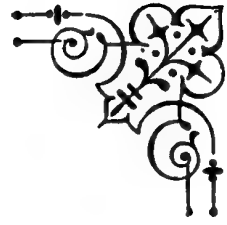
تَوَارَتْ بِهِ الْأَسَادُ خَلْفَ حِيَاضِهَا!
أَطْلُتْ عَلَى الْأَجَامِ فِيهِ أَرَانِبُهُ

فَذَاكَ صَدِيقٌ كُنْتَ تَرْجُو وَفَاءَهُ
تَمَرٌ وَامْتَدَّتْ إِلَيْكَ مَحَالِبُهُ

وَذَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأْمَنُ جَنْبَهُ
تَقَلَّبَ أَفْعَى فَأَنْبَرَيْتَ مُجَانِبُهُ

وَذَاكَ عَزِيزٌ كُنْتَ تَشْهَدُ عِزَّهُ
فَصَارَتْ عَلَى ذُلٍّ تَنَامُ جَوَانِبُهُ

(١) غَرْبٌ: نشاط، حدة



وَذَاكَ خَلِيٍّ قَدْ أَمِنْتَ صَلَاتَهُ
تَكْشَفُ مِنْهُ خُبْرُهُ وَغِيَاهُ

فَهَذِي حَيَاةٌ قَدْ بَلَوْتَ غَمَارَهَا
وَهَذَا زَمَانٌ قَدْ أَتَتْكَ عَجَائِبُهُ

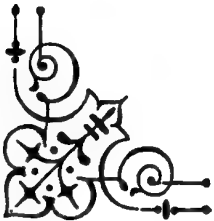
عَلَى صَفْحَةِ التَّارِيخِ خَطٌّ مَوَاعِظًا
وَفِي حُفْرِ الْأَبَاءِ سُنَّتْ مَذَاهِبُهُ

وَفِي جَبْهَةِ الشَّيْخِ الْعَجُوزِ لَهُ يَدٌ
وَفِي قَلْبِهِ آيَاتُهُ وَمَارِيَّتُهُ

هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْكَوْنِ دَبَّرَ أَمْرَهُ
وَكُلُّ الَّذِي تَلْقَى سَتَبْدُو عَوَاقِبُهُ

هُوَ الْحَقُّ، وَالْآيَاتُ بَيْنَهَا لِمَنْ
أَرَادَ لَهَا سَمْعًا وَصَحَّتْ رَغَائِبُهُ

١٩٤٤



سوة

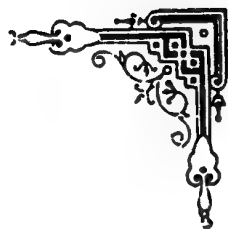
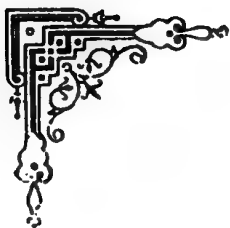
هَلِ الشَّوْقُ إِلَّا شُعْلَةٌ تَأْكُلُ الْحِشَا
فِيَشْعِلُهَا نَائِي وَيُطْفِئُهَا قُرْبُ

وَمَا الشَّوْقُ إِلَّا خَفَقَةٌ بَعْدَ خَفَقَةٍ
تُغَادِرُ صَدْرَ الْمَرْءِ لَيْسَ بِهِ قَلْبُ

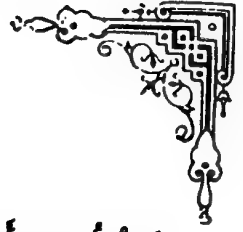
إِذَا هَزَّتِ الذِّكْرَى فُؤَادِي هَزَّةً
فَلَا الدَّمْعُ يُسْلِينِي وَلَا الْأَمَلُ الْعَذْبُ

إِذَا الْوَجْدُ أَضْوَانِي أَرْوَحُ لِرَوْضَةٍ
تَرَقَّرَقَ فِيهَا الْمَاءُ وَاخْضَوْضَرَ الْعُشْبُ

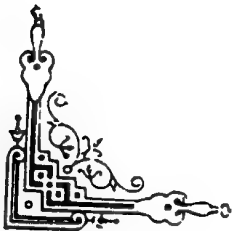
وَتَخَفِقُ فِيهَا الرِّيحُ : مِنْهُ مُودَعٌ
وَمِنْهُ مُقِيمٌ قَدْ أَضَرَ بِهِ الْحُبُّ



يُعَانِقُ فِيهَا الزُّهْرَ وَالزُّهْرُ طَيِّعٌ
يَمِيلُ فَيَرْضَى ثُمَّ يَبْدُو لَهُ رَبُّ
فَيَا أَيُّهَا الزُّهْرُ الَّذِي دَابُّهُ الْهَوَى
يُصَادِقُهُ حُبٌّ وَيَخْدَعُهُ حُبٌّ
إِذَا مَرَّ يَوْمًا قُرْبَ رَوْضِكَ عَاشِقٌ
فَحَدَّثَهُ مَاذَا يَفْعَلُ الْعَاشِقُ الصَّبُّ
وَمَا بَالُ هَذَا الطَّيْرِ يَشْدُو كَأَنَّهُ
أَصِيبٌ بِمَقْدُورٍ يَطِيرُ لَهُ اللَّبُّ
أَمْ الْوَجْدُ أَشْجَاهُ فَأَرْسَلَ نَغْمَةً
يُدَاوِي الَّذِي قَدْ حَارَ فِي أَمْرِهِ الطُّبُّ
تَنَقَّلَ مَا بَيْنَ الْغُصُونِ كَأَنَّهُ
يُفْتَشُّ عَنْ إِلْفٍ تَقَادَفُهُ الْخُطْبُ
أَثَرَتْ الْهَوَى يَا طَيْرُ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ
فَهَلْ يُنَاجِي إِلْفَهُ الْغُصْنُ الرُّطْبُ
فَهَلْ تُبْلِغُنِي يَا طَيْرُ بَعْضَ رَسَائِلِي
فَيُنْزِلَكَ الْوَادِي وَتَرْفَعَكَ الْهَضْبُ



وَتَنْشُرْ أَشْوَاقِي بِكُلِّ حَدِيقَةٍ
وَتَجْعَلَ الْحَايَ يَرُدُّهَا الرُّكْبُ
١٩٤٥



حنين

هَلْ شَجَّتْكَ الذُّكْرَى فِهَذَا حَنِينُ
أَمْ عَرَفْتَ الْبَلَوَى فِهَذَا أُنِينُ

إِيهِ يَا نَفْسُ أَجْمَلِي جَزَعاً وَآبَ
تَسْمِي كُلِّ فُرْقَةٍ سَتَهُونُ

لَا دُمُوعِي تَسِيلُ، لَيْسَتْ جُفُونِي
تَتَشَكَّى، وَالْقَلْبُ لَيْسَ يَلِينُ

أَنْتَ يَا شَجَرُ سِرِّ إِذَا وَقَفَ الدَّمُ
عُ وَلَمْ تَنْطِقْ بِالشُّكَاةِ الْجُفُونُ

هَلْ جَفَاكَ الْمَحَبُّ بَعْدَ وَصَالِ
وَمَضَى لَيْسَ ذَاكِراً مَا يَكُونُ

١٩٤٦

كان رفيق الدراسة، ورفيق اللجوء ثم غادر إلى أمريكا
للدراسة.

لعمري محمد ملكي يا صاحبي

أَصْجَّ	فُوَادُكَ	أُمُّ	هَاجَهُ
لُعُوبُ	هُنَاكَ	تَهْزُّ	الْوَتْرُ
مُدَّهَةٌ	غَنَجَتْ	وَأَنْشَنْتَ	
تَصُدُّ	وَتُبْدِي	الْحَيَا	وَالْخَفَرُ
كَأَنَّكَ	مِنْ	وَحْيِهَا	شَاعِرُ
وَمِنْ	حُسْنِهَا	تَسْتَعِيرُ	الدَّرْدُ
فَهَلْ	حَمَلْتِكَ	لِمَاضٍ	تَوَلَّى
وَهَيَّجَ	حِسَّكَ	عَهْدُ	غَبَرُ
وَأَدْمَى	جِرَاحَكَ	مَا	أَنْتَ فِيهِ
وَحِرْتَ	بِمُسْتَقْبَلِ	مُنْتَظَرِ	



أَفِقْ هَا هُنَا نَعْمُ مُسْتَحَبٌ
وَوَحْيِي يُعِيدُ بَدِيعَ الصُّورِ

وَذِكْرِي تَرَدَّدُ فِي أَضْلَعِي
وَطَيْفٌ مِنَ الْحُلَمِ الْمُسْتَمِرِّ

★ ★ ★

يَا صَاحِبِي حَمَلْتِكَ اللَّيَالِي
تَشِعُّ كَأَنَّكَ نَجْمٌ أَغْرَ

وَيَا صَاحِبِي نَقَلْتِكَ الرِّيَاضَ
فَلَسْتَ هُنَا أَوْ هُنَا تَسْتَقِرُّ

فَإِنَّكَ يَا صَاحِبَ طَيْرٍ طَلِيقٍ
وَمَا زِلْتُ فِي قَفْصِي أَنْتَظِرُ

فَقَدْ حَبَسُوا الْمَاءَ عَنِّي وَقَصُّوا
جَنَاحِي ظُلُمًا فَأَيْنَ الْمَفْرُ

أَشْكُو...؟! فَيَطْوِي شَكَاتِي إِذَنْ
ضَمِيرُ الزَّمَانِ وَغَيْبُ الْقَدَرِ

كَأَنَّ الْأَسَى هَاجَ فِي مُقْلَتِي
فَكَانَ دُمُوعًا وَكَانَ شَرَرُ



وَعَظِمْ أَكْتُمُهُ فِي الْحِشَا
يَكَادُ لَهُ كَبِدِي يَنْفَطِرُ

أَعِرْنِي جَنَاحَكَ يَا صَاحِبِي
فَأَهْفُ عَلَى عَالَمِي أَوْ أَطِرُ

★ ★ ★

تَذَكَّرْتُ مِمَّا مَضَى رَبُوءٌ^(١)
قَضَيْنَا عَلَيْهَا الْمُنَى وَالْوَطْرُ

يَضِجُ بِسَاحَاتِهَا فَتِيَّةٌ
تَهَادَوَا عَلَى جَنَابَاتِ الْعُمُرِ

فَيَفْتَرِشُ الْبَعْضُ عُشْبَ الثَّرَى
وَيَحْتَجِبُ الْبَعْضُ بَيْنَ الشَّجَرِ

فَهَذَا يُقَلِّبُ صَفَحَاتِهِ
وَهَذَا يُرَدِّدُ فِيهَا ذَكَرُ

وَهَذَا عَلَى لَهْوِهِ مُقْبِلُ
وَذَاكَ تَمَلُّلُ يَشْكُو الضَّجَرُ

(١) الكلية العربية بالقدس على جبل المكبر .



أَتَذْكُرَ شَيْخاً هُنَاكَ جَلِيلاً^(١)
أَباً لَشَبَابٍ هُنَاكَ أَرْذَهَرُ
لَهُ جَانِبٌ أَبَوِيٌّ رَقِيقٌ
وَحِيناً لَهُ جَانِبٌ كَالْحَجَرِ
رَحِيمٌ إِذَا نِلْتَ مِنْ عَفْوِهِ
وَقَاسٍ عَنِيدٌ شَدِيدٌ الْخَطَرُ
فِيَا قَلْبُ بَكَ عَلَى عَالِمٍ
طَوَاهُ الزَّمَانُ وَيَا دَمْعُ جُرْ
فَهْذِي رُبُوعَ دَهَاهَا الزَّمَانُ
وَحَلَفَهَا بَعْدَ عَيْنٍ أَثَرُ
وَهَذَا هُوَ الْوَطَنُ الْمُسْتَبَاحُ
وَهْذِي مَعَالِهِ تَنْدِيرُ
وَهَذَا الشَّبَابُ تَجَرَّدَ مِنْهَا
كَمَا يَتَجَرَّدُ غُصْنُ الشَّجَرِ
دَفْنَا هُنَاكَ أَحْلَامَنَا
لِتَحْمِلَ مِنْهَا الْهَوَى وَالْعِبرَ



در اعجاز مع القرآن

إلى صديق أذكره بأيام الدراسة في الكلية العربية بالقدس

هزي فصول مضيت للبذر الجمعة

أَيْنَ الْحَيَاةُ وَأَيْنَ الْعِزُّ وَالطَّرَبُ
أَيْنَ الْمَلَاعِبُ فِي أَنْحَائِهَا نَثَبُ

كُنَّا نَسِيرُ وَتَحْتَ الْإِبْطِ عُدَّتُنَا
فَهَذِهِ صُحُفٌ أَوْ هَذِهِ كُتُبُ

أَوْ أَنَّنَا فِرْقٌ لِلدَّارِ حَامِيَةٌ
وَالدَّمْعُ يَنْظُرُ وَالْأَمَالُ تُرْتَقِبُ

أَيْنَ الصُّفُوفُ وَقَدْ ضَاقَتْ بِمَجْلِسِهَا
أَيْنَ الْمَعْلَمُ قُرْبَ اللَّوْحِ يَنْتَصِبُ

أَيْنَ الشُّجَيْرَاتُ وَالْأَحْرَاشُ نَامِيَةٌ
وَبَيْنَهَا زُمَرُ الطُّلَابِ تَحْتَجِبُ

هَلَا ذَكَرْتَ رَفَاقًا فِي جَوَانِبِهَا
يَضُمُّهُمْ مِنْ ظِلَالِ الْأَيْكِ مُضْطَرِبٌ

هَذِي فُصُولٌ مَضَتْ لَا بُدَّ رَاجِعَةٍ
وَسَوْفَ نَطْعُمُ مِنْهَا كُلُّ مَا يَجِبُ

هَذِي الْبِلَادُ تُنَادِينَا وَدَعْوَتُهَا
قَدْ رَدَدَتْهَا سَمَاءُ الْبَيْدِ وَالْهَضْبُ

مُبُوا إِلَى الْعِلْمِ وَاسْتَعَصُوا بِقَلْعَتِهِ
فَإِنْ حِصْنٌ وَعِزُّ الدَّوْلَةِ الْأَدَبُ

هَذِي الْمَعَاوِلُ آمَالٌ لِأُمْتِنَا
مَصَانِعُ يَرْتَجِيهَا الشَّرْقُ وَالْعَرَبُ

١٩٤٤

★ ★ ★

ظلم لفرعون لفتة معاولة

يَا مَنْ نَأَى عَن رَوَابِنَا وَخَلَّفَهَا
تَمُوجٌ مِّنْ عِطْرِ ذِكْرَاهُ وَتَضَطَّرِبُ

وَفِي جَوَارِحِنَا شَوْقٌ يُرَدِّدُهُ
خَفَقُ الْقُودِ، وَفِي تَحْنَانِهِ عَتَبُ

رَحَلْتُ! وَالْقَلْبُ صِدْقٌ، مَا تُودِّعُهُ
وَلَا أَزَالُ مِّنَ الْعُتْبَى لَنَا سَبَبُ

وَكَانَ يَنْتَظِرُ الْأَيَّامَ مُقْبِلَةً
بِالْعِزِّ رَافِلَةً بِالْخَيْرِ تَقَرَّبُ

أَمَّا ذَكَرْتَ زَمَانًا فِي رَبِي صَفْدٍ
لَّمَّا رَقِينَا شَبَابًا عِطْرُهُ الْأَدَبُ

وَالشُّعْرُ يَخْرُجُ مِنَّا دُونَ مَا نَصَبُ
وَقَدْ تَكَلَّفَهُ الْأَعْجَامُ وَالْعَرَبُ

★ ★ ★

رَحَلْتُ وَالسُّعْدُ يَمْشِي فِي رِكَابِكُمْ
وَمَطْلَعُ الْعِزِّ مَرْمُوقٌ وَمُرْتَقَبُ

ذَهَبَتْ تَطْلُبُ لِلْعَلْيَاءِ مَنْزِلَةً
وَقَدْ يَنَالُ الْعُلَا مَنْ نَالَهُ التُّعَبُ

عَرَّجَ عَلَى النَّيْلِ وَاخْطَرُ فِي جَوَانِبِهِ
وَانْظُرْ رُسُومًا مَشَتْ فِي رِئْعِهَا الْحَقَبُ

وَأَقْرَأُ صَحَائِفَ فِي أَرْجَائِهَا نُشِرَتْ
قَدْ خَطَّهَا الدَّهْرُ وَالْأَحْدَاثُ وَالنُّوبُ

وَانْظُرْ إِلَى الْهَرَمِ الْعَالِي وَدَوَعَتِهِ
وَمَجْدِهِ وَهُوَ خَلْفَ الْأَفْقِ يَحْتَجِبُ

وَانْظُرْ لِصَفْحَةِ عَمْرٍو وَهِيَ نَاشِرَةٌ
نُورًا تَلَالًا مِنْهُ النَّيْلُ وَالْهَضْبُ

فَهَذِهِ عِبْرَةُ الْمَاضِي لِمُعْتَبِرٍ
وَهَذِهِ حِكْمُ الْأَيَّامِ وَالْخُطْبُ

ظَلَمَ لِفِرْعَوْنَ أَفَنَنْتَهُ مَعَاوِلُهُ
وَعَدَلُ أَحْمَدَ بَاقِي لَيْسَ يُنْتَهَبُ

★ ★ ★

لَا تَبْكِينَ عَلَى مَاضٍ إِذَا عَرَضَتْ
أَطْيَافُ ذِكْرِي طَوْنَهَا دُونَنَا الْحُجُبُ

كُنَّا مُنَالِكَ أَبْطَالَ الْمَعَارِكِ لَا
نَخْشَى الْحُتُوفَ وَنَمُضِي دُونَنَا الْقُضْبُ

وَالْخَيْلُ جَارِيَةٌ تُورِي سَنَابِكُهَا
قَدْحًا وَيَنْشُبُ مِنْ أَكْتَافِهَا الْعَطْبُ

حَتَّى رَفَعْنَا الْعُلَا وَالذِّينُ يَغْمَدُهُ
كَأَنَّهُ قَلْعَةٌ أَوْ مَغْقِلٌ أَشْبُ

★ ★ ★

فَجُدْ لِلْعِلْمِ ! إِنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا
إِذَا تَعَانَقَ فِيهِ الدِّينُ وَالْأَدَبُ

وَأِنَّمَا الْعُمُرُ حَرْبٌ فِي مَنَازِلِهَا
تَصَارَعَتْ قُوَّتَانِ : الصُّدُقُ وَالْكَذِبُ

وَجَوْلَةٍ ضَرَسَتْ فِيهَا أَخَا كَذِبٍ
وَهَرَوَلَتْ خَاسِئَاتٍ دُونَهَا الرِّبُّ



يَعْلُو بِهَا الْحَقُّ خَفَاقًا بِرَأْيَتِهِ
وَنَابَةٌ حَوْلَهَا فَتْيَانُهُ النُّجُبُ

١٩٤٥

★ ★ ★

صُورُ الْحَايِنِ

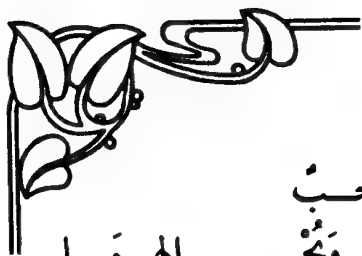
مَا لِنَفْسِي تَتَلَطَّى أَلَا
وَلِقَلْبِي حَائِرًا مُسْتَسْلِمًا

عَابِسَ الطَّلَعِ أَلْقِي نَظْرَةً
فَأَرَى الْأَفْقَ كَثِيبًا مَظْلَمًا

وَإِذَا سَرَّخْتُ عَيْنِي فِي الدُّجَى
لَا أَرَى كَوْكَبَهُ وَالْأَنْجُمَا

أَيُّ يَأْسٍ قَتَلَ الرُّوحَ وَمَا
جَعَلَ الرُّوحَ غُبَارًا أَقْتَمَا

فَاهْدِثِي يَا نَفْسُ لَا تَسْتَيْشِي
وَابْسِمِي إِنْ جَلَّ خَطْبٌ أَوْ رَمَى



وَأَنْظِرِي حَوْلَكَ هَذَا صَاحِبُ
يَنْعَثُ الْعَزَمَ وَيُحْيِي الْهَمَّ

فِي رُؤْيَى بَيْرُوتَ يَسْتَجِدِّي الْهَوَى
وَمَهَا بَيْرُوتَ تَأْبَى الْكَرَمَا

فَسَلُّوا بَيْرُوتَ عَنْ لَذَائِهِ
وَسَلُّوا الْغَادَاتِ عَمَّا كَتَمَا

وَسَلُّوا الْأَرْزَ وَمَا جَاوَرَهُ
هَلْ يُعِيدُ الْأَرْزَ مَا قَدْ عَلِمَا

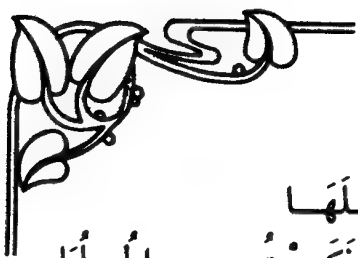
أَوْ سَلُونِي أَنَا مَنْ صُحْبَتُهُ
صَفْوَةُ النَّاصِحِ أَهْدَى السَّلَمَا

★ ★ ★

إِيهِ يَا صَاحِ سَلَامَ طَيْبُ
رَدَّدَ الطَّيْرُ صَدَاهُ نَغَمَا

إِيهِ يَا صَاحِ سَلَامَ خَالِصُ
يَرْفَعُ الْعَتَبَ وَيَنْفِي التَّهَمَا

إِنَّمَا التَّخْرِيرُ هَذَا صَفْحَةُ
سَطَّرَ الشُّوقُ عَلَيْهِ الْكَلِمَا



عُدْتُ لِلذِّكْرِ وَمَا أَجْمَلَهَا
وَكَأَنِّي قَدْ ذَكَرْتُ الْحُلُمَا

كَمْ رَتَعْنَا تَحْتَ ظِلِّ وَارِفِ
وَطَرِينَا وَحَفِظْنَا الذِّمَمَا

نَفْتَحُ الصَّفْحَةَ نُحْيِي أَحْرَفَا
يُسْأَلُ الْعَارِفُ عَمَّا عَلِمَا

صُورُ الْمَاضِي وَمَا أَجْمَلَهَا
هَلْ يُعِيدُ الدَّهْرُ عَهْدًا قَدَمَا

أَنْتَ فِي بَيْرُوتَ نُحْيِي أَمَلًا
وَأَنَا فِي الْقُدْسِ أُحْيِي أَلَمَا

١٩٤٦

★ ★ ★

إلى صديق كتبت له على صورة تجمعنا

صورة

صورة تُبدي إليك العَجَبَا
تَجْعَلُ النَّائِي كَأَنَّ قَدْ قَرَّبَا

فَلَكَ الذُّكْرَى وَمَا أَجْمَلَهَا
تَبَعْتُ الْمَاضِي إِذَا مَا احْتَجَبَا

لَا يَزَالُ الذُّكْرُ سُلُونًا لِمَنْ
كَتَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ النُّوَا

١٩٤٥

★ ★ ★

أُجْرِيتْ عَمَلِيَّةُ جِرَاحِيَّةٍ لِأَحَدِ الْأَصْدِقَاءِ .

وَطَبِيبٌ غَارِقٌ فِي طَبِّهِ

سَلَّ يَدَ «الدُّكْتُورِ» مَاذَا فَعَلْتَ
وَسَلَّ السَّكِينُ مَاذَا جَرَحَا

أَيُّ جَنْبٍ مِنْكَ آذَوْهُ وَلَمْ
يُشْفِقُوا فِي شَقِّهِ فَاَنْفَتَحَا

غَائِبٌ فَوْقَ سَرِيرٍ لَمْ تَكُنْ
تَعْلَمُ الْأَمْرَ وَمَا قَدْ سَفَحَا

وَطَبِيبٌ غَارِقٌ فِي طَبِّهِ
كَشَفَ الْجِسْمَ وَأَبْدَى الْقُرَحَا

بِاسْمِ الطَّلَعَةِ خَفَّتْ يَدُهُ
وَيَدُ اللَّهِ تِيَمُ الْفَرَحَا



شَعَبِ السُّكَّينِ فِي أُنْمِلِهِ
وَتَلَّالَتْ فَهِيَ سِرٌّ فَضِحَا

لَأَنْتِ السُّكَّيْنُ حَتَّى إِنِّي
خِلْتُ عَيْسَى مَدَّهَا كَيْ يَمْسَحَا

فَهِنِيئاً وَسَلَاماً، كُلُّ جَا
رِحَةٍ تُبْدِي إِلَيْكَ الْمَرْحَا

لَعِبَتْ بَيْنَ ثَنَايَا أَضْلَعِي
لَوْعَةُ الشُّوقِ وَذِكْرُ سَرَحَا

أَيْنَ دَارٌ^(١) خَارَجَ الْقُدُسُ! نَأَتْ
أَيْنَ صَحْبِي! أَيْنَ صَحْبِي! نَزَحَا

يَوْمَ كُنَّا نَشْتَكِي الدَّرْسَ وَلَمْ
نَذَرِ مَا مَعْنَى الْأَسَى وَالْتَرَحَا

يَوْمَ غَطَى الثَّلْجُ أَطْرَافَ الثَّرَى
قَرَّاهُ غَازِياً مُكْتَسِحَا

فَرَّقَ الطُّلَابُ! هَذَا وَائِبُ
يَتَلَقَّى الثَّلْجُ وَالْبَغْضُ انْتَحَى

(١) الكلية العربية بالقدس على جبل المكبر.



فَقْوِي

ثَابِتٌ فِي حَزْبِهِ
وَضَعِيفٌ فِي الثُّرَى قَدْ طُرِحَا

سُنَّةُ

الدُّمْرِ عَلَى عَلَاتِهِ
كَتَبَ الدُّمْرُ وَلَكِنْ مَا مَحَا

١٩٤٦

★ ★ ★



رجل هجا بأبيات من الشعر مدينة صفد فبعثت له بهذه
الآيات.

فاقصدهم بالآيات فأنس السيرة

صَفَدُ أَتَتْكَ مَذْمَةُ الْأَعْدَاءِ
وَمَقَالَةُ الْحُسَادِ فِي الْأَبْنَاءِ

نَسَجْتَ يَدُ الْحَقْدِ الدَّفِينِ سِيَّاجَهَا
وَعَشْتَ نَوَاطِرَهُمْ يَدُ الْأَهْوَاءِ

وَالْحَقْدُ يَتَعَثُّهُ التَّفَاوْتُ فِي الْعُلَا
لَا بَيْنَ أُنْدَادٍ لَهُ أَكْفَاءِ

فَلَقَدْ طَوَاكَ الْعِزُّ فِي أَثْوَابِهِ
وَلَبِسْتَ أَنْهَى حُلَّةٍ وَرْدَاءِ

★ ★ ★

يَا شَاعِرًا وَالضَّادُ تَحْجُلُ أَنْ تَرَا
كَ مُصَاوِلًا فِي جُمْلَةِ الشُّعْرَاءِ



مَا كُلُّ مَنْ قَدْ قَالَ بَيْتاً شَاعِراً
لَقَبُ تَبِينٌ عَلَيْهِ كَالْأَقْدَاءِ

أَنْتَ الْعَقُوقُ وَقَدْ رَوَاكَ نَمِيرَهَا
فَشَبَبْتَ تَنْكِرُ نِعْمَةَ الْآبَاءِ

أَوَّلَا تَرَى نِعْمًا تَفِيضُ بِأَرْضِهَا
حَتَّى جَزَيْتَ نَعِيمَهَا بِهَجَاءِ

وَالْعَيْنُ إِنْ كَثَرَ الضُّيَاءُ ضَرِيرَةٌ
أَوْ هَلْ يُرَى بِالْمَقْلَةِ الْعَمِيَاءُ

فَحَذَارِ يَا هَذَا فَإِنِّي نَاصِحٌ
لَكَ...! إِنْ شِعْرِي نَفْسَةُ الرُّقْشَاءِ

أُسْقِيكَ بِالْكَأْسِ الَّتِي أَعْدَدْتُهَا
لِسَوَاكَ بَيْنَ جَوَانِبِ الْغُرَبَاءِ

أَهْجَوْتُهَا إِذْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مَرْقَصاً
وَحَلَاةً بِمَنَازِلِ الْكُرَمَاءِ

فَاقْصِدْ هَوَاكَ إِذَنْ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ
إِنْ الْهَوَى هُوَ أَسِيرُ الْجُهَلَاءِ

١٩٤٤

★ ★ ★



صديق كريم أحب فتاة وباح لي بجهته . وكان جبهه هنالك في
دير الزور .

يسألونك الزور

يَا سَاكِنَ الدَّيْرِ هَلْ فِي الدَّيْرِ رُهْبَانُ
أَمْ هَلْ حَوَالَيْكَ عُشَّاقٌ وَغُزْلَانُ

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الدَّيْرَ دَارُ هَوَى
وَأَنَّ مَنْ بِنَوَاحِي الدَّيْرِ قَدْ لَانُوا

كَأَنَّمَا أَلْقَيْتُ نَاقُوسُ إِذَا خَفَقَتْ
أُضْلَاعُهُ وَكَأَنَّ أَلْعِينَ أَلْحَانُ

أَقَامَ فِي الشَّامِ لَمْ تَخْفُجْ جَوَانِحُهُ
وَلَمْ يَكُنْ لِخِلَافِ الشَّامِ حُسْبَانُ

كَأَنَّمَا بَرَدَى لَمْ تُجِدْ رُقِيَّتُهُ
وَلَمْ يُعَانِقْكَ فِي ضَفَائِهِ الْبَانُ

★ ★ ★



ثُمَّ انْثَنَيْتَ عَنِ الْعَاصِي وَضَفَيْتَهُ
وَشَأْنُ أَهْلِ «حَمَا» صِدْقٌ وَإِحْسَانٌ

حَتَّى نَزَلْتَ عَلَى «الْفَوَرَاتِ» ذَا ظَمَأٍ
فَهَبْ يَزْوِيكَ عِنْدَ الدَّيْرِ جِرَانُ

كَأَنَّمَا الْغَيْدُ أَزْهَارُ رَوَائِحِهَا
عِطْرُ الشُّبَابِ وَهَيْدِي الْأَرْضِ بُسْتَانُ

تَطُوفُ فِيهِ وَتَجْنِي مِنْ أَزَاهِيرِهِ
وَتَنْتَقِي: فِيهِ وَرْدٌ وَرَنْجَانُ

هُنَاكَ فِي الدَّيْرِ كَمْ نَاجَيْتَ شَارِدَةً
وَكَمْ رَنْتَ لِحَسَنِ الْحَيِّ أَجْفَانُ

شَكُوتَ لِي غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا
أَشْكُو إِلَيْهِ وَفِي جَنْبِي نِيرَانُ

هَوَاكَ غَيْدٌ وَتَشْكُو مِنْ لَوَاحِظِهَا
لَكِنْ هَوَى أَضْلَعِي دِينَ وَأَوْطَانُ

١٩٥١

★ ★ ★



حِينَ رَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ .

فَاقْرَأْ بَعِيْنَهُ السِّلَاحَ

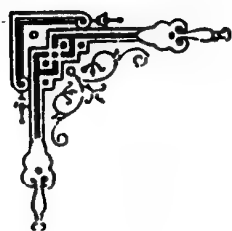
مَنْ لِلْفُؤَادِ إِذَا رَحَلَ
تَ وَمَنْ يَحْنُ وَمَنْ يُعِيْنُهُ

عَصَرَ الْجَوَى يَوْمَ الْوَدَا
عِ حَنَانُهُ فَجَرَتْ شُؤْنُهُ

أَلَوَيْتَ...! لَمْ تَبْسِمَ وَعَهْ
لِي بِالْإِخَاءِ تُرَى دُيُونُهُ

فَرَجَعْتُ لِلرَّسَمِ الْمَصَوِّ
وَرِ لَمْ تَحْذِ عَنِّي عُيُونُهُ

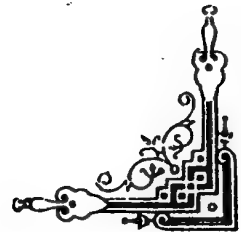
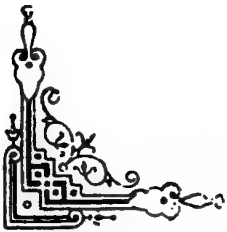
عَيْنَاهُ تَنْطِقُ بِالْوَفَا
شَرَحَتْ مَعَانِيَهُ جُفُونُهُ



وَشِفَاهُهُ كَادَتْ تَبْسُ
سَمُ وَالرَّضَى كَادَتْ تَبِينُهُ
لَوْ أَهْلَ التَّصْوِيرِ صَا
حِينَا وَلَمْ تَعْجَلْ يَمِينُهُ
فَارْجِعْ لِرَسْمِي إِنْ أَضُرَّ
رَبِّكَ النَّوَى وَقَسَتْ شُجُونُهُ
فَحَدِيثُهُ سَلَوَى
عَيْنِيهِ يُعْلَمُ مَا أَنِينُهُ
كَيْمَا يُعِيدُكَ لِلْقَا
وَتَسِيرُ بِالذِّكْرِى سَفِينُهُ
فَهُنَاكَ فِي حَلَبٍ وَذِكْ
رَاهَا يَرْقُهَا حَنِينُهُ
فَهُنَاكَ قَدْ عَرَفَ الْهَوَى
وَقَدْ اسْتَبَدَّ بِهِ جُنُونُهُ
وَهُنَاكَ قَدْ صَدَحَ الْهَوَى
نَغْمَاتِهِ وَدَوَى رَنِينُهُ

مَا لَأَمَهُ أَحَدٌ وَلَا
 ذَكَرُوا هُنَالِكَ مَا يَشِينُهُ
 خُلُقٌ لَهُ وَشَمَائِلُ
 طَابَتْ وَطَابَ بِهَا خَدِينُهُ
 فَذَهَبَتْ وَأَنْفَرَطِ الصُّحَا
 بٌ وَعَادَ يَطْوِيهِ حَنِينُهُ
 فَأَقْرَأَ بَعَيْنِيهِ السَّلَا
 مَ وَقُلْ بِرَبِّكَ مَنْ يُعِينُهُ
 ١٩٥٠

★ ★ ★



فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٧
كلمة شكر وتقدير	٩
مقدمة الناشر للطبعة الثانية المكتب الإسلامي	١١
مقدمة بقلم المؤلف للطبعة الثانية	١٧
مقدمة بقلم المؤلف للطبعة الأولى	١٩
مقدمة بقلم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة	٢١
كلمة بقلم الأستاذ محمد الصباغ	٢٩
كلمة بقلم الدكتور أحمد كمال زكي	٣٣
كلمة بقلم الدكتور عبد العليم القباني	٣٩
كلمة مجلة الجديد	٤٩
كلمة جريدة اللواء الأردنية	٥٣
★ ★ ★	
دعاء	٦١
أماه	٦٣
نذير	٦٩
دار لنا	٧٣
يا قومي	٧٩
عيد في فلسطين	٨١
ما العيد إلا لحر لم يهن أبداً	٨٥
حيفا من الشاطئ الغربي في عكا	٨٧
الربيع في عكا	٩١
الشهيد عبد القادر الحسيني	٩٣
	٢٦٩

٩٩	وطن يضيع
١٠٥	سقوط صفد
١١١	جرحان
١١٩	فلسطين في ظلال القرآن
١٣١	دمعة على رجل
١٣٩	عودة لاجيء
١٥١	إياد
١٥٣	لوحة من صفد
١٦٣	سواعد وقلوب
١٦٥	أخي
١٧٣	شفق الفجر
١٨١	دماء بريئة
١٨٥	وتبسمت حين أشرق فجر
١٩٥	لم يبق في عرفات إلا دمعة
٢١٥	الشهيد
٢٢١	إليه
٢٢٥	إن الهوى هو أسر الجهلاء
٢٢٩	عزة الإيمان
٢٣٣	شوق
٢٣٧	حنين
٢٣٩	أعزني جناحك يا صاحبي
٢٤٥	هذي فصول مضت لا بد راجعة
٢٤٧	ظلم لفرعون أفنته معاولة
٢٥١	صور الماضي
٢٥٥	صورة
٢٥٧	وطبيب غارق في طبه
٢٦١	فاقصدهواك إذن فانت أسيره
٢٦٣	ياساكن الدير
٢٦٥	فاقرأ بعينيه السلام
٢٦٩	الفهرس

● ديوان الأرض المباركة - الطبعة السادسة .

● ديوان موكب النور - الطبعة الرابعة .

● ديوان جراح على الدرب - الطبعة الثالثة .

● ديوان مهرجان القصيد - الطبعة الأولى .

* * *

● ملحمة الغرباء - الطبعة الثالثة .

● ملحمة القسطنطينية (فتحان) - الطبعة الثانية .

● ملحمة الجهاد الأفغاني - الطبعة الثالثة .

● ملحمة فلسطين - الطبعة الخامسة .

● ملحمة الأقصى - الطبعة الثانية .

● ملحمة الإسلام في الهند - الطبعة الأولى .

● ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى - الطبعة الثانية .

* * *

● على أبواب القدس - الطبعة الثانية .

● فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - الطبعة الرابعة .

● الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ - الطبعة الثالثة .

● عبدالله عزام . أحداث ومواقف - الطبعة الأولى

● فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - (مترجم إلى اللغة التركية) الطبعة الأولى .

● فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - مترجم إلى اللغة الانجليزية - الطبعة الأولى

* * *

● دراسة انتشار الموجات الإلكترومغناطيسية المتوسطة (باللغة

الإنجليزية) - الطبعة الأولى .

كتب للمؤلف

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية - الطبعة السادسة .
- الشورى وممارستها الإيمانية - الطبعة الثالثة .
- الشورى لا الديمقراطية - الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الأول - الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الثاني - الطبعة الثانية .
- لقاء المؤمنين - الجزء الأول - (مترجم إلى اللغة التركية) .
- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق - الطبعة الثالثة .
- التوحيد وواقعنا المعاصر - الطبعة الثانية .
- العهد والبيعة وواقعنا المعاصر - الطبعة الثالثة .
- النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية - الطبعة الرابعة .
- النية في الإسلام وبعدها الإنساني - الطبعة الأولى .
- الولاء بين منهاج الله والواقع - الطبعة الثانية .
- الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام - الطبعة الثانية .
- نهج الدعوة وخطة التربية والبناء - الطبعة الثانية .
- منهج لقاء المؤمنين - الطبعة الأولى .
- «خطة الدّاعية The Caller's Plan» (باللغة الانجليزية) - الطبعة الأولى .
- أضواء على طريق النجاة - الطبعة الأولى .

* * *

- الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته - الطبعة الثالثة .
- الحداثة في منظور إيماني - الطبعة الرابعة .
- تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها - الطبعة الثانية .

* * *

● مع الأرض المباركة ●

.... وأحداث أمتنا لا يكفيها الشعر ولا النثر. إنها أحداث جسام تحتاج إلى كل أنواع الأسلحة والعتاد، وكل أنواع القوى وأساليب الجهاد. والكلمة قوة من هذه القوى وسلاح هذه الأسلحة.... سلاح لا بد من أن يكون له دوره في كل معركة وفي كل ميدان. وفي الأمة القوية تكون الكلمة قوية...، قوية بمنطلقها، وأثرها، ومداه.

ولقد ضعفت الكلمة في أمتنا اليوم. ضعفت شكلاً ومضموناً، وضعفت أثراً ومدى. ضعفت الكلمة كما ضعفت الأمة وكما ضعفت سائر أسلحتها. ولكنها جولة من جولات أمة الإسلام بين ماضٍ بعيد ومستقبل قريب. إنها جولة من الجولات ومرحلة من المراحل في تاريخ عظيم ممتد في الحياة حتى قيام الساعة. فهذا هو تاريخ المؤمنين وهذا هو مداه....!

ضعفت الكلمة في أمتنا اليوم حين استسلمت على خدرٍ الشعارات إلى طبول الغزاة ودفوف المستعمرين وأبواق المرائين. فدلف الموت يغتال يميناً وشمالاً ومن كل ناحية تاريخاً وأمجاداً، ولغة وعتاداً، ويمزق ويسحق، ويخلف وراءه جشاً وجيفاً....!

إنها غفوة من الغفوات في تاريخ أمتنا. لا بد من صحوة بعدها إن شاء الله، ولا بد من وثبة مظفرة في ميادين الحق والجهاد، لتشهد أمتنا جولات النصر والغلبة، عابدة لله خاضعة له، حتى تكون كلمة الله هي العليا....!

يا أُمَّةَ الْقُرْآنِ دَارُكَ حُلُوةٌ	ما طَوَّفْتَ ذِكْرِي وَهَاجَ حَنَانُ
مَغْنَاكَ مَنْشُورُ الْأَزَاهِرِ كُلِّهَا	عَبَقٌ إِذَا خَضِرَتْ بِهِ الْعِيدَانُ
لَا أَنْتَقِي مِنْ غَرْسِ رَوْضِكَ زَهْرَةً	إِلَّا وَكَانَ عَبِيرَهَا الْإِيمَانُ